وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة سرت - قسم اللغة العربية

كلية الآداب - شعبة الأدبيات

رسالة ماجستير بعنوان:

النظم القرآني في آيات الإحسان دراسة بلاغية

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير) في الدراسات الأدبية

إعداد الطالبة:

اوريدة مصباح عبدالسلام

إشراف:

محمد عبدالسلام سويسي

الفصل الدراسي

1435- 1436هـ

2014- 2015 م

الإهداء

إلى من أحمل اسمه بكل فخر وافتقده منذ الصغر إلى من أودعني لله أهديه هذا البحث

أبي

إلى حكمتي وعلمي إلى أدبي وحلمي إلى طريق الهدايا وينبوع الصبر والتفاؤل والأمل إلى كل من لي في الوجود بعد الله ورسوله

أمي

إلى من اثروني على أنفسهم إلى من اظهروا لي ما هو أجمل ما في الحياة إلى من تذوقت معهم اجمل لحظات حياتي

إخوتي واصدقائي

الشكر والتقدير

لا يسعني إلا أن أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للدكتور: محمد عبدالسلام سويسي، حفظه الله، على قبوله الإشراف على رسالتي، وأشكره على ما أسداه لي من نصائح وإرشادات وتوجيهات، كان منه النفع الكبير والاستفادة البالغة فجزاه الله خير الجزاء وكتب ذلك في ميزان حسناته.

كما اتقدم بالشكر الجزيل لكل من الأستاذين المناقشين..... اللذين تكرما بقبول مناقشة هذا البحث، وإفادتي بملاحظاتهما.

كما لا يفوتني أن اشكر جميع أساتذتي وزملائي وكل من تعاون مع وأعانني بالقيام بإنجاز هذا البحث، فجزى الله الجميع خير الجزاء وكتب ذلك في ميزان حسناتهم.

المقـدمــة

الحمد لله الذي جعل اختلاف الألسنة من آياته، وجعل أفصحها اللسان العربي، وأنزل به كلامه تكريما له، ولما امتاز به هذا اللسان من ميزات لغوية، وبلاغية، وأدبية، ووجدانية، وموسيقية، فهو اللغة الشاعرة حقًا، فالقران الكريم في المرتبة العليا في البلاغة، إذ هو كلام الله المعجز نظمه يعلو كل نظم، وبيانه فوق كل بيان، ومهما أجاد البلغاء ونمق الخطباء، ورصع الحكماء، وأبدع الشعراء؛ فسيظل في بلاغته القرآنية فريدًا معجزًا أساطيل البيان، وفصحاء اللسان، وسادة الحكمة والعرفان، فهو منبع عذب لا يتوقف.

أما بعد، فقد تفـرد أسلـوب القـرآن ونظمـه، علـى أساليـب العـرب وتراكيبهم رغـم بلاغتهـم، وبلوغهـم الغايـة فـي هـذا المضمـار، فقد جـاء بـذات اللغـة التـي يتحدثـون بهـا، فتحداهم علـى أن يأتـوا ولـو بسـورة مـن مثلـه، قـال تعالـى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[الإسراء:88] ولكنهم عجزوا على معارضته ومباراته.

وقد آثار كتاب الله منذ اللحظات الأولى لنزوله حركة فكرية عند متلقيه مما جعلهم يعجبون من أساليب التعبير والبيان فيه، وينقبون عن كنوزه ويوازنون بين صنوف الكلام الواردة فيه.

وها انا أواصل المسيرة في جعل القرآن موردي في دراستي هذه، فكان عنوان بحثي: «النظم القرآني في آيات الإحسان دراسة بلاغية».

سبــب اختيــار الموضــوع:

1- كان علم البلاغة من بين العلوم التي لها دور في اكتشاف هذه الأساليب والأسرار، لهذا توجهت في دراستي نحو البلاغة القرآنية، لتذوق أساليب القرآن الكريم والبحث في أسراره.

2- التأكيد على أن لب بلاغة القرآن الكريم تكمن في النظم، وليس في الصور البيانية المؤثرة وحدها.

3- التأكد على أن آيات الإحسان تستوي مع آيات القرآن الأخرى، وهذا ما تأكدت منه عند الدراسة التطبيقية.

4- وقع اختياري على آيات الإحسان نظرًا لأهمية مقام الإحسان في القران الكريم، ولارتباط آيات الإحسان بطاعة الله، ومكانة المحسن عند ربه.

أهمية الموضوع:

من خلال هذا الموضوع اتضح لي بأن هذه الآيات لم تدرس من الجانب البلاغي، وإن كانت قد درست من قبل في ثنايا بعض الكتب ولم يخصص لها بحث مفرد.

فكانت اهميته تكمن في استخراج الآية القرآنية ومعرفة الغرض مع بيان قيمته في تثبيت المعنى وإبراز جماليات الدرس البلاغي وما له من تأثير في بيان وتوضيح المعنى المقصود للآية، بالإضافة إلى ابراز الاسرار البلاغية التي تكمن في ارتباط كلمات آيات القرآن الكريم بحيث لا تسد كلمة مكان كلمة،

الهدف من الدراسة:

1- لفت الأنظار إلى ضرورة التدبر المستمر في كتاب الله تعالى.

2- بيان ما في آيات الإحسان من براعة في نظمها، واحكاما في نسيجها، وايجاز في لفظها، وغير ذلك من أساليب البلاغة القرآنية.

الدراســات السابقــة:

لا شك أن كتب القدماء والمحدثين تناولت قضية الإحسان وتحدثت عنها، ولكن بخلاف المنهجية التي اعتمدتها في هذا البحث، أذكر من ذلك:

- كتـاب (الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر) للأستـاذ جـلال العمـري.

- كتـاب (الترهيـب مـن أكـل مـال اليتيـم والإحسـان إلـى الأرملـة والمسكيـن) للأستـاذ أبـي عبد الرحمـن الأثـري.

- رسالـة ماجستير بعنـوان(الإحسـان ومجالاتـه وأثـاره مـن المنظـور القرآنـي دراسـة موضوعيـة) إعـداد الطـالب مـروان أفنـدي، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، 2007م.

كل هذه الدراسات القرآنية تخدم الجوانب التفسيرية والفقهية لهذه الآيات ولا تقترب من الجانب البلاغي.

المنهــج المتبــع:

مـن المناهـج التـي رأيـت أنهـا تخـدم هـذا البحـث، المنهـج الوصفـي التحليلـي، إذ قمـت بجمـع الآيـات المتعلقـة بموضـوع الإحسان، واعتمدت على المعجم الموضوعي في جمع الآيات، إلا أن بعض الآيات لم تذكر في المعجم، كالإحسان إلى النفس، والإحسان في التحية، والإحسان في قرض المال والوفاء بالعهد...وغير ذلك، وكذلك الآيات التي جاءت بدفع السيئة بالحسنة، وصنفت البحث إلى فصول ومباحث، وادعمتها بذكر الآيات والشواهد التي تزيدها وضوحا.

- توثيـق المعلومـات بشكـل دقيـق وعـزو الأقـوال إلـى أصحابهـا .

- الرجـوع إلـى أمهـات الكتـب .

- الرجـوع إلـى معاجـم اللغـة لبيـان معانـي الكلمـات وشرحهـا .

- الترجمـة للأعـلام الواردة أسماؤهم في الرسالة .

هيكلية البحث

اقتضت طبيعـة البحـث أن تشتمـل علـى :

المقدمـة: وتحتوي علـى الأسبـاب التـي دعـت لاختيـار الموضوع، واهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع.

التمهيـد: ويحتـوي علـى:

- معنى الإحسان لغة واصطلاحا.
- نبذة موجزة عن أنـواع الإحسـان: كالإحسـان مـع الله، والإحسـان إلـى الوالديـن، والإحسان إلـى الأقـارب، والإحسـان إلـى الجـار، والإحسـان إلـى الفقـراء، والإحسـان إلـى اليتامـى والمساكيـن، والإحسـان إلـى النفـس...
- منهج القرآن في تتبع آيات الإحسان.

الفصـل الأول:

النظم القرآني ، مفهومه ، تطوره عند البلاغيين .

المبحث الأول : معنـى النظـم لغة واصطلاحا، تطور النظم عند البلاغيين

المبحث الثاني: المتشابه اللفظي في آيات الإحسان.

الفصل الثاني:

البنية التركيبية فـي آيات الإحسـان

- توطئـة فـي معنـى التركيـب ومعنـى الإسنـاد.

المبحـث الأول: التوكيد في آيات الإحسان.

المبحــث الثانــي: التقديم والتأخير في آيات الإحسان .

المبحــث الثالــث: الذكر والحذف في آيات الإحسان.

المبحث الرابع: التعريف والتنكير في آيات الإحسان.

المبحث الخامس: القصر في آيات الإحسان.

المبحث السادس: الالتفات في آيات الإحسان.

المبحث السابع: الجملة الإنشائية في آيات الإحسان.

الفصــل الثالث:

البنية التصويريــة فــي آيــات الإحســان

- توطئــة في التعــريف بالتصويــر وعناصــره وأنماطــه.

المبحــث الأول: الاستعــارة فــي آيــات الإحســان.

المبحــث الثاني: الكنايــة والتعــريض فــي آيــات الإحســان.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفهــارس، وتشــمل: معجــم لآيــات الإحســان، والمصــطلحات البلاغيــة المســتخدمة، والأشعار، والأعلام، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

وبعد، في ختام هذه المقدمة لا أزعم أنني تناولت جميع الظواهر التي تتصل بالإعجاز النظمي في آيات الإحسان، فهذا جهدي أضعه بين أيدي قارئهِ؛ آملة أن يلقى القبول والرضا، مع مراعاة نيتي الصادقة في إنجاز هذا العمل، راجية من الله الرضا والقبول، فإن كانت الأخرى فإنني أضرع إليه - جلت قدرته - أن يسامحني على جميع زلاتي وخطأي.

والله ولي التوفيق.

التمهيد:

معنى الإحسان لغةٌ واصطلاحا:

الْإِحْسَانُ مَصْدَرُ أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانًا، وَيُقَالُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا مُتَعَدٍّ بِنَفْسِهِ، كَقَوْلِكَ: أَحْسَنْتُ كَذَا؛ أي: حسنته وكلمته، وَهُوَ مَنْقُولٌ بِالْهَمْزَةِ مِنْ حَسَّنَ الشَّيْءَ. وَثَانِيهُمَا مُتَعَدٍّ بِحَرْفِ جَرٍّ، كَقَوْلِكَ: أَحْسَنْتُ إِلَى فُلَانٍ، أَيْ أَوْصَلْتُ إِلَيْهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ[1].

قال ابن منظور: الإحسان: ضدُّ الإساءة، وَرَجُلٌ مُحْسِن، ومِحسان، ويقال: أَحْسِنْ يَا هَذَا، فإنك مِحْسانٌ؛ أي: لاَ تَزَال مُحْسِنًا، وأراد بالإحسان الإخلاص، وهو شرطٌ فِي صِحَّةِ الإيمان والإسلام معًا، وَذَلِك أن مَنْ تَلفَّظ بِالْكَلمةِ وَجَاء بِالْعَمَل مِنْ غير إخْلاص لَمْ يَكُنْ مُحْسِنًا، وإن كانَ إيمانُه صَحيحاً، وَقيلَ: أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحُسْن الطَّاعَة، فَإنَّ من راقَبَ الله أَحَسن عَمله[2] .

وعليه فكلمة (الإحسان) تقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، إذ يقال: أَحْسِنْ إلى فلانٍ.

والثاني: إحسان في الفعل، وذلك إذا علم عِلْمًا حسنًا أو عَمِلَ عملاً حسنًا[3].

معنى الإحسان اصطلاحا:

الإحسان هو معاملةُ بالحسنى ممن لا يلزمه إلى من هو أهلها، والحسن: ما كان محبوباً عند المعاملة به، ولم يكن لازمًا لفاعله، وأعلاه ما كان في جانب الله تعالى مما

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/3، 1384ه 166:10.

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/3، 1414هـ (حسنَ) 117:13.

(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودين دار القلم، الدار الشامية، بيروت ط/1، 1412هـ 236:1.

فسره النبيء ρ بقوله: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[1]» ودون ذلك التقرب إلى الله بالنوافل[2].

قال ابن عطية[3]: «الإحسان هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه، ومنها ما هو فرض، إلا أن حد الأجزاء منه داخل في العدل، والتكميل الزائد على حد الأجزاء داخل في الإحسان وقال ابن عباس فيما حكى الطبري: العدل لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض»[4].

وقال أبو السعود[5] إن حقيقة الإحسان الإتيان بالعمل على الوجه اللائق، وهو حسنة الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره ρ بقوله: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[6] .

وعُرف الإحسانً بأنه: «إتقان الأعمال والتطوع بالزائد عن الفرائض ومقابلة الخير بأفضل منه، والشر بأقل منه»[7].

من خلال ما ورد في المعنيين اللُّغوي والاصطلاحي نلاحظ أن الإحسان هو:

1- أن تعبد الله كأنك تراه.

2- الإحسان إلى الناس، ومنهم الوالدين والأقربين والفقراء وغيرهم.

---

(1) اخرجه البخاري، كتاب: صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط/1، 1422هـ، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبيρ، رقم الحديث:50، 19:1.

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر تونس، 1984هـ 255:14.

(3) هو: عبد الحق بن غالب عبدالرحمن بن غالب تمام بن عبدالرؤوف بن عبدالله بن تمام بن عطية المحاربي، الغرناطي، المالكي، أبو محمد، عالم مشارك في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والأدب، له المرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وله كتاب ضمن مروياته وأسماء شيوخه، توفى سنة 541ه، وقيل: سنة542ه ، وقيل سنة546هـ ينظر: الأعلام، الزركلي 282:3.

(4) المحرر الوجيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1422هـ 416:3.

(5) هو: محمد بن محمد بن مصطفى، المولى أبو السعود: مفسر وشاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطنية، وتقلد القضاء بروسه في القسطنطنية، وأضيف له الإفتاء، وكان حاضر الدهن سريع البديه وهو صاحب التفسير الكبير المعروف باسمه، وقد سماه إرشاد العقل السليم، ومن كتبه ايضاً: تحفة الطلاب وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 58:7.

(6) إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 147:1.

(7) التفسير المنير، الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط/2، 1418هـ 212:14.

3- إتقان العمل سواء كان عبادة أو معاملة.

مراتب الإحسان:

مرتبة الإحسان تتفاوت من محسن إلى آخر قال ابن رجب[1]: «يتفاوت أهل هذه المرتبة فيه بحسب قوة نفود البصائر»[2] وأفضل الإحسان وأعلاه الإحسان إلى المسيء وقد أمر به النبي ρ وأحسن إلى من أساء إليك تكون مسلما، قال: عيسى بن مريم υ إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك[3].

إن الإحسان إلى المسيء هو مرحلة ارتقاء، وليست تكليفا أصيلاً؛ لان الحق- سبحانه- قد أباح أن نردد العدوان بمثله، ثم حث المؤمن على أن يكظم غيظه، أو يرتقي إلى العفو وأن يصل إلى الإحسان، وكل هذه ارتقاءات اليقين بالله سبحانه وتعالى[4].

ومن أدنى مراتب الإحسان قول الرسول ρ: «غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ»[5].

والإحسان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان والإيمان، اعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين[6].

---

(1) هو: ابو الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، حافظ للحديث، ولد في بغداد، ونشأ وتوفي في دمشق، من كتبه: شرح جامع الترمدي، جامع العلوم والحكم، وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 295:3.

(2) جامع العلوم والحكم، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ 29:1.

(3) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي 217:14 .

(4) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997م 6362:10.

(5) اخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذ وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه، رقم الحديث: 3321، 130:4.

(6) ينظر: الإيمان، ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان الأردن، ط/5، 1416هـ 11:1.

صور الإحسان:

الإحسان يحيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه، و بأسرته، والجماعة، وعلاقته بالبشرية بشكل عام، بل وعلاقته بالمخلوقات كلها ، فكل قوانين التعامل ترجع إلى الإحسان.

الإحسان في عبادة الله: اعد الله المكانة الحسنة للمحسنين وبشرهم ببلوغ اعلى المراتب في العديد من الآيات القرآنية من ذلك قوله تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)[الرحمن:60] وقال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)[يونس:26].

الإحسان إلى الوالدين: نصت العديد من الآيات إلى الإحسان للوالدين، وذكر فضلهم، ونرى أن أغلب الآيات التي جاءت في الإحسان إلى الوالدين جاءت مقترنة بعبادة الله مباشرة، وذلك لبيان مكانتهم العظيمة التي أعدها الله لهم، من ذلك قوله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[البقرة:83] وقوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[النساء:36] وقوله تعالى:(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[الأنعام:151] وقوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[الإسراء:23].

الإحسان إلى الأبناء: وقد ورد في قصة لقمان، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[لقمان:13].

الإحسان إلى الأقارب: حث الإسلام على الإحسان إلى الأقارب، وقد ورد في ذلك بعض الآيات، منها قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)[الأنفال:41].

الإحسان إلى اليتامى والمساكين: المسلم يحسن إلى اليتامى والمساكين والفقراء، ويتصدق عليهم، ولا يبخل بماله عليهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[النساء:8].

الإحسان إلى الجار: في هذا الإحسان برهان ودليل على صدق التعامل مع الله، وهو خلق لا يقوم به إلا اولئك الذين تخلوا بالفضائل ومكارم الأخلاق، وقد وصى الله تعالى بالجار في قوله سبحانه: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء:36].

الإحسان إلى النفس: المسلم يحسن إلى نفسه؛ فيبعدها عن الحرام، ولا يفعل إلا ما يرضي الله، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء:7].

الإحسان إلى العامة: التعامل مع الأخرين الذين لا تربطك بهم علاقة القرابة، بل هم عامة من الناس، يجلب السعادة، والفوز بمحبة الله، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:195].

منهج القرآن في تتبع آيات الإحسان:

تكلم القرآن الكريم عن الإحسان في العديد من آياته، هادفاً من خلالها غرس هذا المفهوم في النفوس، فلم يقتصر الإحسان، على دور المحسنين ومكانتهم فحسب إنما اقترن بأمور آخري مهمة منها: التقوى، والصبر، والعدل، والعمل الصالح والتبشير بخير الدنيا والآخرة، فمثال اقترانه بالتقوى قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:128]، ومثال اقترانه بالتقوى والعمل الصالح قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة:93]، ومثال اقترانه بالعدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[النحل:90]، ومثال اقترانه بالصبر قوله تعالى:(وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[هود:115]

ومما يدل على اهتمام القرآن بقضية الإحسان أن الكثير من النصوص القرآنية جاءت مشتملة عليه، داعية إلى الاتصاف والعمل به؛ لنيل سعادة الدارين، فقد اشتملت آيات الإحسان على عدة أمور منها:

1- الترغيب في الإحسان، وذلك بذكر الجزاء المعد للمحسنين قال تعالى: (فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ)[المائدة:85].
2- مكانة المحسن الذي يقابل الحسنة بالسيئة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ)[الرعد:22].
3- الجمع بين التهديد والتشويق، من ذلك قوله تعالى: (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) [الأحقاف:12]إذ جمع القرآن النذارة للذين ظلموا والبشرى للمحسنين.
4- جعل الإحسان أمنية يتمناها الكافر المتعذب لو عاد إلى الحياة الدنيا، بعد مشاهدته لمكانة المحسنين في الآخرة قال تعالى: (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)[الزمر:58].
5- لم يقتصر الإحسان على جزئية معينة في حياة الإنسان، إنما شمل جميع أمور حياته الفردية والاجتماعية، فأمر بالإحسان في التحية، قال تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا)[النساء:86]، وأمر بالإحسان في القول، قال تعالى: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْنًا﴾[البقرة:83]، والإحسان في المجادلة، قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:125].

6- نفى الخوف والحزن عن المحسنين، قال تعالى: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[البقرة:112].

7- رفع الله من مكانة المحسن، وجعل له المكانة السامية، وهي النظر إلى وجهه الكريم قال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[يونس:26].

وكل هذه الصور التي ذكرتها، وغيرها وردت في القرآن الكريم، بنظم رائع، وأسلوب متناسق، وهذا ما سأتناوله في الفصول القادمة إن شاء الله ربي.

الفصل الأول

النظم القرآني، مفهومه، تطوره عند البلاغيين

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول:

مفهوم النظم وأراء العلماء فيه.

المبحث الثاني:

المتشابه اللفظي في آيات الإحسان.

المبحث الأول

معنى النظم في اللغة وفي الاصطلاح

النظم لغة: وله عدة معان[1]:

- النَّظْمُ: التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمَه فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ.
- ونَظَمْتُ اللؤْلؤَ أَيْ جَمَعْتُهُ فِي السِّلْك، والتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته، ونَظَمَ الأَمرَ عَلَى المثَل.
- وكلُّ شَيْءٍ قَرَنْتَه بِآخَرَ أَوْ ضَمَمْتَ بعضَه إِلَى بَعْضٍ، فَقَدْ نَظَمْته.
- والنَّظْمُ: المَنْظومُ، وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ.
- والنَّظْمُ: مَا نظَمْته مِنْ لؤلؤٍ وخرزٍ وَغَيْرِهِمَا، وَاحِدَتُهُ نَظْمَة.
- ونَظْم الحَنْظل: حبُّه فِي صِيصائه.
- والنِّظَامُ: مَا نَظَمْتَ فِيهِ الشَّيْءَ مِنْ خَيْطٍ وَغَيْرِهِ، وكلُّ شعبةٍ مِنْهُ وأَصْلٍ نِظامٌ. ونِظامُ كُلِّ أَمر: مِلاكُه، وَالْجَمْعُ أَنْظِمَة وأَناظِيمُ ونُظُمٌ. - النَّظْمُ نَظمُك الخرزَ بعضَه إِلَى بَعْضٍ فِي نِظامٍ وَاحِدٍ، كَذَلِكَ هُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى يُقَالَ: لَيْسَ لأَمره نِظامٌ أَيْ لَا تَسْتَقِيمُ طريقتُه.
- والنِّظامُ: الخيطُ الَّذِي يُنْظمُ بِهِ اللؤلؤُ، وكلُّ خيطٍ يُنْظَم بِهِ لُؤْلُؤٌ أَوْ غيرهُ فَهُوَ نِظامٌ، وَجَمْعُهُ نُظُمٌ

---

(1) ينظر: العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د:ت) (د:ط) (نظم) 8:165- 166، وينظر: جمهرة اللغة، الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيرت، ط/1، 1987 (ظمن) 2:935، وينظر: لسان العرب (نظم) 12:578، وينظر: تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د:ط) (د:ت) 33:496 (

- وفعلُك النَّظْمُ والتَّنْظِيمُ. ونَظْمٌ مِنْ لؤلؤٍ، قَالَ: وَهُوَ فِي الأَصل مَصْدَرٌ،
- والانْتِظام: الاتِّساق.
- النِّظام: العِقْدُ مِنَ الْجَوْهَرِ وَالْخَرَزِ وَنَحْوِهِمَا، وسِلْكُه خَيْطُه.
- والنِّظامُ: الهَدِيَةُ والسِّيرة. وَلَيْسَ لأَمرهم نِظامٌ أَيْ لَيْسَ لَهُ هَدْيٌ وَلَا مُتَعَلَّق وَلَا اسْتِقَامَةٌ. وَمَا زالَ عَلَى نِظامٍ وَاحِدٍ أَيْ عادةٍ.
- وتَنَاظَمَتِ الصُّخورُ: تلاصَقَت.
- والنِّظَامَان مِنَ الضبِّ: كُشْيَتان مَنْظومتانِ مِنْ جَانِبَيْ كُلْيَتَيْه طَوِيلَتَانِ.
- ونَظَّمَت الضبَّةُ بَيْضَهَا تَنْظِيماً فِي بَطْنِهَا، ونَظَمَها نَظْماً، وَكَذَلِكَ الدَّجَاجَةُ أَنْظَمَت إِذَا صَارَ فِي بَطْنِهَا بَيْضٌ.
- والأَنْظَامُ: نَفْسُ الْبَيْضِ المُنَظَّم كأَنه مَنْظُومٌ فِي سِلْكٍ.
- والإِنْظَامُ مِنَ الْخَرَزِ: خيطٌ قَدْ نُظِمَ خَرزاً، وَكَذَلِكَ أَنَاظِيمُ مَكْنِ الضبَّة. وَيُقَالُ: جَاءَنَا نَظْمٌ مِنْ جرادٍ، وَهُوَ الْكَثِيرُ. ونِظامُ الرَّمْلِ وأَنْظَامَتُه: ضَفِرتُه، وَهِيَ مَا تعقَّد مِنْهُ.
- ونَظَمَ الحبْلَ: شَكّه وعَقَدَه.
- ونَظَمَ الخَوّاصُ المُقْلَ يَنْظِمُه: شَكّه وضَفَرَه.
- والنَّظَائِمُ: شَكائِكُ الحَبْلِ وخَلَلُه. وطعَنَه بالرُّمح فانْتَظَمَه أَي اخْتَلَّه.
- والنَّظْمُ: الثُّريّا، عَلَى التَّشْبِيهِ بالنظْمِ مِنَ اللُّؤْلُؤِ.
- والنَّظْمُ: الدّبَرانُ الَّذِي يَلِي الثُّريا. ابْنُ الأَعرابي.
- ونَظْم: موضعٌ.
- والنظْمُ: ماءٌ بِنَجْدٍ.

وعلى هذا فإن النظم هو تنظيم الكلام، وجعله مترابط متماسك، كاتصال عقد اللؤلؤ مع بعضه البعض، ليظهر جماله ورونقه، فإذا تبعثر وتلاشى فسد نظمه وجماله.

النظّم اصطلاحا:

النظّم: «تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل»[1].

أراء العلماء حول إعجاز القران بالنظم:

استعمل مصطلح (النظّم) كثيراً في كتب العلماء قبل عبد القاهر بمئات السنين، إلا أن هذه الفكرة لم تصل إلى غايتها في الجمل إلا على يد عبد القاهر فمصطلح النظّم لم يكن بلفظه وإنما أستعمل بألفاظ أخرى، وعلى هذا سنتطرق إلى ذكر بعض العلماء الذين كان لهم أثر في هذه النظرية.

لعل أقدم من تكلم عن الإعجاز القرآني بالنظم هو الجاحظ[2] (ت255هـ)، ولم يصل إلينا الكتاب إلا اسمه فقط (نظم القرآن) حيث قال: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقروي، والمدنيّ. وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السّبك فإنما الشعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير»[3].

وهو يرى إن تلاحم أجزاء الكلام وحسن اختيار ألفاظه وابتعاده عن التعقيد يجعله سهل الوصول إلى النفوس، وفهمه إذ قال: «أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل

) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1413ه 1.242:1(

(2) هو: عمرو بن بحر محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهيربالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، من كتبه: الحيوان، والبيان والتبيين...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 74:5.

) الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2، 1424ه 3.67:3(

المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان»[1].

وقد ذكر بأن لألفاظ القران مزية في النظم لا تجدها في غيره، فهي تأتي متصاحبة لبعضها في أغلب الحالات ، لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، وغير ذلك[2].

وممن تعرض لرد على الشبهات التي دارت حول أسلوب القران ونظمه بعد الجاحظ هو ابن قُتيبه[3] ت:276هـ في كتابه (تأويل مشكل القرآن) إذ قال في مقدمه كتابه: «الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد، وهدانا بنور الكتاب، (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) [الكهف: 1]، بل نزله قيما مفصلا بينا (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[فصلت: 42] وشرفه، وكرمه، ورفعه وعظمه، وسماه روحا ورحمة، وشفاء وهدى، ونورا، وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلوا لا يمل على طول التلاوة، ومسموعا لا تمجه الآذان، وغضا لا يخلق على كثرة الرد، وعجيبا، لا تنقضي عجائبه، ومفيدا لا تنقطع فوائده[4].

وكان للرماني[5] (ت386هـ) دوراً في الحديث عن النظّم في رسالته: "النكت في إعجاز القرآن" فقد ذكر بأن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة: منها الشعر، ومنها السجع، ومنها الخطب، ومنها الرسائل، ومنها المنشور الذي يدور بين

) البيان والتبيين، مكتبة الهلال، بيروت، 1423ه 1.18:1(

) ينظر: البيان والتبيين 42:1. 2(

(2) هو: عبد الله بن مسلمين قتيبة الدينوري، أبو محمد: من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد، وسكن الكوفة ثم ولى قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، توفي ببغداد، من كتبه: أدب الكاتب، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 137:4.

) تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 4.11:1(

(5) هو: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، باحث معتزلي مفسر، من كبار النحاة، أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد، من كتبه: النكت في إعجاز القران، وشرح سيبويه، و منازل الحروف...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 317:4.

الناس في الحديث، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة[1].

و يأتي الخطابي[2] (ت388هـ) في رسالته: (بيان إعجاز القرآن) فهو يؤكد بأن القرآن معجز؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ نسقا وتأليفا حيث يقول: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزًا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنًا أصح المعاني؛ من توحيد الله - عزَّت قدرته - وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته؛ من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعًا كل شيء في موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه»[3].

وذكر الخطابي بأن الإتيان بمثل هذه الأمور، وطريقة سبكها وتنظيمها، أمرٌ تَعجِز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قُدَرُهم، فانقطع الخَلق دونه، وعجزوا عن معارضته، لمثله، أو مناقضته في شكله[4].

وقد تكلم أبو هلال العسكري[5] (ت395هـ)، في مقدمة كتابه (الصناعتين) على اهمية النظم، فقد ذكر بأن بلاغة القران متميزة بحسن التأليف، وجودة التركيب، والنظم البديع، وغير ذلك من المحاسن التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها، وقصورهم عن بلوغ غايته؛ في حسنه وبراعته، وسلاسته ونصاعته، وكمال معانيه

) ثلاث رسائل في إعجاز القرآني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط/3، 1976م، ص:111. 1(

(5) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان، فقيه محدّث، من أهل بست، من بلاد كابل، من نسل زيد بن الخطاب، من كتبه: بيان إعجاز القرآن، و شرح البخاري...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 273:2.

) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص:3.27(

) المصدر نفسه، ص 28 .4(

(4) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العَسْكَري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر. نسبته إلى عسكر مُكرَم، من كور الأهواز، من كتبه: التلخيص، و الصناعتين...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 196:2.

وصفاء ألفاظه، ولذلك جعل تعلم علم البلاغة والفصاحة أمر لابد منه، لإدراك اسرار القران الكريم ونظمه [1].

وفي مطلع القرن الخامس يأتي الباقلاني[2] (ت:403) في كتابه (إعجاز القرآن) فقد اشتمل بديع القران ونظمه عنده عدة وجوه منها[3]:

- ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد.
- ومنها أنه مهما بلغ العرب من الفصاحة والبلاغة، إلا أن كلامهم لم يصل إلى هذا الحد من التناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول وهذا القدر الذى وصل إليه القرآن الكريم.
- ومنها أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها ويشتمل عليها، وإنما هو على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ومنها بديع بلاغته ونظمه، فقد تحدى الإنس والجن عن الإتيان بمثله.
- ومنها ابتعاده عن التكلف والصنعة، فهو قريبا إلى الإفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس.

قال الرازي «الكلام له جسم وهو اللفظ وله روح وهو المعنى، وكما أن الإنسان الذي نور روحه بالمعرفة ينبغي أن ينور جسمه الظاهر بالنظافة، كذلك الكلام ورب

) ينظر: الصناعتين، تحقيق: على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1419م 1.1:1(

(2) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاض، من كبار علماء الكلام، انتهت اليه الرياسه في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها، كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، وجّهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها، من كتبه: إعجاز القرآن ، ومناقب الائمة...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 176:6.

) ينظر: اعجاز القران 3.69:1(

كلمة حكمية لا تؤثر في النفوس لركاكة لفظها، إذا عرفت هذا فقوله وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم»[1].

لقد اطالوا العلماء الكلام حول إعجاز القرآن، وذكروا وجوه شته له، ونرى الالوسي[2] يثبت بأن النظم كونه معجم، فلأن تأليف الكلام فيه على خمس مراتب وهي: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض فتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف، تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض فتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعا في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له: المنثور، ضم ذلك إلى بعض ضما له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم ، أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع ، أن يحصل له مع ذلك وزن ويقال له إن قصد الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص والقرآن جامع لمحاسن الجميع بنظم مكتس أبهى حلل، ومتعر عن كل خلل، ومشتمل على خواص ما شامها سواه، ومزايا ما سامها عند أهل النقد نظم إلا إياه[3].

وذكر الطبري[4] ميزة القران الكريم في نظم معانيه وتشريفه عن غيره من سائر الكتب إذ قال: «ومن أشرف تلك المعاني التي فضل بها كتابنا سائر الكتب قبله، نظمه العجيب ورصفه الغريب، وتأليفه البديع؛ الذي عجزت عن نظم مثل أصغر سورة منه الخطباء، وكلت عن وصف شكل بعضه البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلدت -قصورا

) مفاتيح الغيب 170:28. 1(

(3) هو: محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي البغدادي شهاب الدين أبو الثناء، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، نحوي، مشارك في بعض العلوم، من كتبه: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، غرائب الأغتراب، حاشية على شرح قطر الندى... وغير ذلك، توفى سنة 1270هـ ينظر: ترجمته في الأعلام 176/6-177، وفهرس الفهارس 139/1-141، ومعجم المؤلفين 175/12.

) روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1420ه 1:32. 3(

(4) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام، ومن كتبه: جامع البيان في تفسير القرآن، واختلاف الفقهاء...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 96:6.

عن أن تأتي بمثله- لديه أفهام الفهماء، فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار»[1].

وذكر القرطبي[2] بأن آيات الكتاب الحكيم قد سبكت سبكا محكما لا يعتريها نقص: «أي: نظمت نظما محكما لا يلحقها تناقض ولا خلل»[3].

يرى الطاهر بن عاشور[4] أن جمل القرآن لها دلالاتها التي تميزها عن غيرها من جمل الكلام المنثور فمهما تفنن العرب في كلامهم إلا إنهم لم يصلوا إلى حد النظّم الذى جاء به القرآن الكريم إذ يقول: إن العرب أمة جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم، وبخاصة كلام بلغائهم، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين كما يقال: لمحة دالة، لأجل ذلك كثر في كلامهم المجاز، والاستعارة، والتمثيل، والكناية...إلخ، وملاك ذلك كله توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأخصرها ليسهل اعتلاقها بالأذهان وإذ قد كان القرآن وحيا من العلام سبحانه وقد أراد أن يجعله آية على صدق رسوله وتحدى بلغاء العرب بمعارضة أقصر سورة منه، فقد نسج نظمه نسجا بالغا منتهى ما تسمح به اللغة العربية من الدقائق واللطائف لفظا ومعنى بما يفي بأقصى ما يراد بلاغة إلى المرسل إليهم. فجاء القرآن على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب، فأعجز بلغاء المعاندين عن معارضته ولم يسعهم إلا الإذعان، فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في كلامهم. وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقا بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ، في أقل ما يمكن من المقدار[5].

---

(1) جامع البيان 1.199:1(

(2) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبدالله، القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، الأسني في شرح أسماء الله الحسنى...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 322:5.

(3) الجامع لأحكام القرآن 2:9. 3(

(3) هو: محمد الطاهر بن عشور، رئيس المفتين المالكين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له كتب: التحرير والتنوير، والوقف وآثاره في الإسلام... وغير ذلك: الأعلام، الزركلي، 174:6، وهدية العارفين، البغدادي، 378:2.

(4) ينظر: التحرير والتنوير 93:1. 5(

رأي عبد القاهر[1] في قضية النظم:

قال عبد القاهر: «أعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها»[2].

واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك. هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس[3].

ذكر عبد القاهر: إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ، فأحيانا ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظ (الأخدع):

قال الشاعر:

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا[4]

قال الشاعر:

وإني وإن بلغني شرف الغنى ... وأعتقت من رق المطامع أخدعي[5]

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام:

قال الشاعر:

---

(1) هو: عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، أبوبكر: واضع أصول البلاغة كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان، بين طبرسان وخراسان، له شعر رقيق، من كتبه أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، المغني في شرح الإيضاح... وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 84:4،.

) دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط/3 1413ه 2.81:1(

(3) دلائل الاعجاز 55:1

(4) شرح ديوان الحماسة، التبريزي، دار القلم، بيروت، (د: ط) (د: ت) 61:2، ينظر: شرح ديوان الحماسة، الاصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، 2003م، 853:1.

(5) ينظر: ديوان البحتري، ط/1، 1911، ص80.

يا دهر قوم من اخدعيك فقد ... أضججت هذا الأنام من خرقك[1]

فتجد لها من الثقل على النفس، ومن التبغيص والتكدير، أضعاف ما وجدت هناك حمن الروح والخفة، ومن الإيناس والبهجة[2].

إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ لا دال عليه أن يكون مثله أولا في النطق[3].

وقد فرق عبد القاهر بين حروف منظومه، وكلم منظومه حيث قال: أن (نظم الحروف) هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب)، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما (نظم الكلم) فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس؛ فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو (النظم) الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق[4].

وعلى هذا فإن الأغراض البلاغية من تقديم وتأخير وذكر وحذف وتشبيهات واستعارات وغير ذلك من الأغراض التي تساعد على توضيح المعنى، فهي من مقتضيات النظّم التي يتميز بها شاعر عن شاعر وأديب عن أديب، فلكل منهم درجات من التفاضل والابداع، بحسب تنسيق الكلام وترتيبه ونظمه في النفس.

---

(1) ينظر: ديوانه، تحقيق: عطية اللباني، المطبعة الاردنية، بيروت، (د:ط) 1889م، ص187، ينظر: الصناعتين، ابو هلال العسكري، 126:1.

(2) دلائل الاعجاز، 46:1

(3) المصدر نفسه، 52:1.

(4)المصدر نفسه 49:1.

المبحث الثاني

المتشابه اللفظي في آيات الإحسان

جاء في لسان العرب: «تَشابَه الشيئانِ واشْتَبَها: أَشْبَه كلُّ واحدٍ منهما صاحِبَه. وَفِي التَّنْزِيلِ: (مُشْتبِهًا وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ)[الأنعام:99]. وشَبَّهه إِياه وشَبَّهَه بِهِ مَثَّلَهُ. والمُشْتَبِهات مِن الأُمور: المُشْكِلات. والمُتَشابِهات: المُتَماثِلات»[1].

التشابه اصطلاحًا: هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة.

وفسر ذلك السيوطي[2] بقوله: «والقصد من إيراد القصة الواحدة في صور مختلفة بأن يأتي في موضع واحد مقدمًا وفي آخر مؤخرًا»[3].

وعُرف بأنه: «تشابه آيات القرآن الكريم في الألفاظ والمعاني بحيث يكون ثم تغاير بين آية وآية، وفق ما يقتضيه السياق والتعبير»[4].

لقد عني كثير من علماء التفسير بتوجيه متشابه القرآن اللفظي، مبرزين دقة التعبير القرآني، وتفرده بذلك الكم الهائل من الإشارات والتلويحات التي تنطوي تحت ألفاظه ونظمه، وهم في توجيههم لتشابه القرآن اللفظي، يؤكدون على أنه لا يوجد في

) ينظر: ابن منظور، (شبه) 1.503:13(

(2) هو: عبدالرحمن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضري جلال الدين الاسيوطي الشافعي، يكنى أبو الفضل، من كتبه: المزهر في اللغة، الجامع الصغير في الحديث...وغير ذلك، توفي سنة 911ه-، ينظر: ترجمته في هديه العارفين، البغداي، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان،1: 534-535. الأعلام، الزركلي 3: 301-302

) الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ 3.390:3(

) معجم علوم القرآن، الجرمي، دار القلم، دمشق، ط/1، 1422هـ 4.241:1(

القرآن تكرار ممل مقحم لا يؤدي معنى مقصودًا، بل إن كل آية أو كلمة متمكنة في مكانها لا تحسن غيرها فيه أبدًا[1].

وعلى هذا فقد كانت لآيات الإحسان نصيب في هذا الأسلوب، فقمت باختيار بعض النماذج وذلك على النحو الآتي:

الآية الأولى قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة:58].

الآية الثانية قال تعالى: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف:161].

قال ابن جماعة[2]: «إن اختلاف ألفاظ الآيتين، وفائدة مناسبتهما مع قصد التشويق في الخطاب إذ في آية البقرة افتتح ذكر بنى إسرائيل بذكر نعمه عليهم بقوله: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) [البقرة:47] ناسب ذلك نسبة القول إليه، أما في آية الأعراف فافتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعراف:139]. ثم اتخاذهم العجل، فناسب ذلك نسبة ذلك القول إليه»[3]، وقد ذكرت عدة مسائل في تحليل هذه الآيات وبيان سر التشابه والاختلاف بينهم :

المسألة الأولى:

افتتح آية البقرة بقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا) وفي سورة الأعراف بقوله تعالى:(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ) فقد بنى الفعل في آية الأعراف للمجهول؛ لأن القصة خطاب وجه أولا إلى أهل مكة فالحكاية فيه عن بني إسرائيل حكاية عن غائب، والأصل أن يذكر ضميره فيه;

) المصدر نفسه، 1.242:1(

(2) هو: محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين أبو عبد الله، قاض من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، وكان من خيار القضاة، من كتبه: المنهل الروي في الحديث النبوي، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني، ينظر: الاعلام، الزركلي 297:5.

) كشف المعاني في المتشابه من المتاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط/1، 1410هـ 3.389:15(

ولذلك قال: (لهم) وفي سورة البقرة: (وَإِذْ قُلْنَا) والمعنى واحد; إذ المعلوم أن القائل هو الله تعالى، وقد روعي هنالك السياق، وفي خطاب بني إسرائيل إذ قبلها : (وإذ فرقنا بكم البحر)[50] فناسب أن يقول (وَإِذْ قُلْنَا) ولم يقل فيها (لكم) كما قال هنا: (لهم) لأن القول كان لأجداد المخاطبين من ألوف السنين لا لهم أنفسهم، ولم يقل: (لهم) أيضا; لأن السياق لم يكن حكاية عن غائب مجهول يحتاج إلى تعيينه، بل هو تذكير الخلف بما تقوم به عليهم الحجة من شؤون السلف; لأنهم وارثو أخلاقهم وغرائزهم وعاداتهم، فهو إذن مشترك بين الخلف الحاضر والسلف الغابر، وزيادة (لهم) تلصقه بالغائب وحده فتكون حكايته لبني إسرائيل كحكايته لعرب مكة وغيرهم[1].

المسألة الثانية:

اقتران لفظ َ(كُلُوا) بالفاء في سورة البقرة، وبالواو في سورة الأعراف' قال الإسكافي[2]: لأن الأكل متعلق بدخولهم، فكأنه قال إذ دخلتموها أكلتم منها، والأكل متعلق وجوده بوجوده، أما في الأعراف فإن اسكنوا من السكنى، وهي المقام مع طول البث، والأكل لا يختص وجوده بوجوده[3].

المسألة الثالثة:

ذكر لفظ (رَغَدًا) في البقرة وحذفها في الأعراف، قال الرازي: «الأكل عقيب دخول الجنة يكون ألذ؛ لأن الحاجة إلى ذلك الأكل كانت أكمل وأتم، ولما كان ذلك الأكل

) ينظر: تفسير المنار، القلموني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990هـ 1.313:9(

(2) هو: محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي أبو عبد الله، عالم بالأدب واللغة، من أصل أهل اصبهان، كان اسكاف، ثم خطيبا بالراي، من كتبه: نقد الشعر، ودرة التنزيل وغرة التأويل، ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا (د:ط) (د:ت) 149:1، وينظر: الإعلام، الزركلي 227:6.

(2) ينظر: درة التنزيل وغرة التأوي، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط/1، 1422ه 222:1، وينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 223:1.

ألذ لا جرم ذكر فيه قوله: (رَغَدًا) وأما الأكل حال سكون القرية، فالظاهر أنه لا يكون في محل الحاجة الشديدة ما لم تكن اللذة فيه متكاملة، فلا جرم ترك قوله: رغدا فيه[1].

أما الإسكافي فقال: في آية البقرة عندما أسند الفعل إلى نفسه تعالى كان اللفظ بالأشرف الأكرم، فذكر معه الأنعام الأجسم وهو أن يأكلوا رغدا، وحذف في آية الأعراف؛ لأن الفعل لم يسند إلى نفسه [2].

المسألة الرابعة:

التقديم والتأخير في قوله تعالى: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ) قد جاء في آية البقرة بقوله تعالى:(وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ) وفي الأعراف بالعكس؛ لأن الواو للجمع المطلق؛ ولأن المخاطبين صنفان: محسن ومذنب، واللائق بالمحسن تقدم العبادة والخضوع، ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وإزالة العجب, واللائق بالمسيء عكس ذلك؛ ولأنه ذكر في هذه السورة (ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) فقدم كيفية الدخول[3].

ظهور كمال النعمة في البقرة اقتضى تقديم الأمر بالسجود؛ لأن السجود مظهر عظيم من مظاهر شكر النعم، ثم روعي جانب الخطيئة في الأعراف فقدم ما يناسبه وهو القول بالحطة لزوال ما اقتضى التقديم في آية البقرة[4].

المسألة الخامسة:

جمع (خَطَايَاكُمْ) قال الرازي: مجيء (خَطَايَاكُمْ) في البقرة، (خَطِيئَاتِكُمْ) في الأعراف، إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة، فهي مغفورة عند الإتيان

) مفاتيح الغيب، 1.389:15(

) ينظر: درة التنزيل وغرة التأوي، 2.237:1(

) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1416هـ 3.296:1(

(4) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، مكتبة وهبة، ط/1، 1413هـ 152:2.

بهذا الدعاء والتضرع[1] قال الكرماني[2]: جاء بالإجماع في آية البقرة؛ لأن خطايا صيغة الجمع الكثير ومغفرتها أليق بالآية؛ لإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه[3].

المسألة السادسة:

ذكر الواو في قوله: (سَنَزِيدُ) في سورة البقرة وحذفها في الأعراف، قال: الزمخشري[4] في قوله:«(نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) موعد بشيئين: بالغفران، وبالزيادة، وطرح الواو لا يخلّ بذلك، لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقيل له: سنزيد المحسنين»[5].

قال الكرماني: ذكر الواو في سورة البقرة لأَن اتصالها أَشد لاتِّفاق اللَّفظين وَاختلفا في الإعراب، وحذفت في سورة الأعراف؛ لأَن الكلام جاء مستأنف»[6] لقد جاء الكلام متصلا بالواو في سورة البقرة لأن الحديث عن ذكر النعم التي أنعم بها على بنى إسرائيل، أما في سورة الأعراف لم يدل على تعداد النعم فجاء الكلام منفصلا.

ثانيا:

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[العنكبوت:8].

) ينظر: مفاتيح الغيب، 1.390:15(

(2) هو: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، المعروف بتاج الفراء، أحد العلماء الفهماء النبلاء، من كتبه: لباب التأويل، والبرهان في متشابه القرآن، ينظر: الأعلام، الزركلي 168:7، وينظر: بغية الوعاة، السيوطي 177:2.

) اسرار التكرار في القرآن، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، 3.73:1(

(4) هو: محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الإمام الكبير في التفسير، والحديث، والنحو، واللغة، وعلم البيان، من كتبه: الكشاف، المفصل في النحو، الفائق في غريب الحديث...وغير ذلك، توفي سنة 538هـ، ينظر: بغية الوعاة 279:2 – 280، وينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/1، 1414هـ 2687:6 – 2691.

) الكشاف، 5.170:2(

) ينظر: اسرار التكرار، 6.73:1(

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ _ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[لقمان:14-15].

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)[الأحقاف:15].

جاء بذكر لفظ (حسنا) في العنكبوت، ولفظ (إحسانا) في الأحقاف، ولم تذكر في سورة لقمان.

قال الإسكافي: إن في ذكر لفظ (حسنا) في سورة العنكبوت؛ لأن الآية تربط بما قبلها وما بعدها، وذلك جيء بالأخبار عن معاملة المؤمنين والجزاء الذى اعده الله لهم، قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أما في سورة الأحقاف فقد ذكر لفظ (إحسانا) لأنه تحدث عن ولد مؤمن، وصى بوالديه وهما مؤمنان، لا يمنعانه عن الإيمان، وهو طاب نفسا وأصلا ورغب إلى الله تعالى أن يطيب فرعا؛ لأنه قال تعالى حكاية عنه.. قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وبعد هذه الآية ذكر ولد استغاث الله والداه لإصراره على كفره، ولما أعياهما مدارأة أمره [1].

) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، 1: 996-1.1002(

وعدم ذكر لفظ (حسنا) في سورة لقمان يعلل ذلك فقال: وأما الآية في سورة لقمان فإنها ذكرت بعدما حكى الله تعالى عن لقمانυ من وصيته ابنه إذ قال: (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) فذكر عقب ذلك وصية الإنسان بهما وبيان حقهما فقال: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) فهو يوصى بأن يحسن إليهم ويكرمهم ويبرهما ويطيعهما إلّا إذ أمراه بمعصية الله تعالى فتسقط عنه طاعتهما [1].

وللكرماني رأي في ذكر لفظ (حسنا) وحذفه، إذ قال: أجمع الجمهور على أن هذه الآيات نزلت في سعد بن أبي وقاص، والسبب في عدم ذكر لفظ (حسنا) في سورة لقمان؛ لأنه اعتراضا بين كلام لقمان لابنه، كأن قوله: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) قام مقام، وإن ذكر لفظ (حسنًا) في العنكبوت كان مناسبًا للآيات التي قبلها قال تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) فإنه ذكر فيها جميع ما يقع بالمؤمنين بأوجز كلام وأحسن نظام، ولهذا ذكر لفظ (حسنا) أي: الزمناه (حسنا) في حقهما وقياما بأمرهما[2].

إن قوله تعالى في سورة لقمان: (وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) وقوله في الأحقاف: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) لا تعارض بينهما لأنهما إخباران عن قضيتين، لأن الحمل والفصال مدتان، ومدة الحمل غير مدة الرضاع، فأخبر في الآية الواحدة عن مجرد مدة الرضاع، وفي الثانية عن المدتين[3].

المسألة الثانية:

قضية المجاهدة: قال الكرماني: جاء بقوله (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي) في سورة العنكبوت وبقوله (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي) في سورة لقمان؛ لأن في العنكبوت

) ينظر: المصدر السابق 1:997 - 1.998(

) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، 1: 197-2.198(

) ملاك التأويل، الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2:3.389(

وافق ما قبله لفظا وهو قوله (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) وفي لقمان محمول على المعنى؛ لأن التقدير وإن حملاك على أن تشرك[1].

قال الطاهر بن عاشور في قضية المجاهدة: أما حرف (على) في سورة لقمان فهو أدل على تمكن المجاهدة؛ أي: مجاهدة قوية للإشراك، والمجاهدة: شد السعى والإلحاح، والمعنى: إن ألحا وبالغا في دعوتك إلى الإشراك بي فلا تطعهما، وهذا تأكيد للنهي عن الإصغاء إليهما إذ دعوا إلى الإشراك، أما في آية العنكبوت، فمجيء فيها بلام العلة لظهور أن سعدا كان غنيًا عن تأكيد النهي عن طاعة أمه لقوة إيمانه[2].

ذكر الغرناطي[3]: أن في تعدية الفعل بـ(اللام) في آية العنكبوت، وبـ(على) في آية لقمان؛ لأن آية العنكبوت بنيت على الإيجاز فناسب ذلك الاكتفاء بـ(اللام) أما في لقمان على الإطالة فناسب التعدية بـ(على)[4].

إن قوله تعالى في العنكبوت ولقمان: (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) تحذير من طاعتهما في الشرك وإبلاغ في النهي عن الصغو إليهما في ذلك إلى الغاية لئلا يظن أن ذلك كآية الإكراه (كما) تقدم، ولما لم يقع في آية الأحقاف ذكر الشرك، وكانت فيمن كان على إيمان، وقد علم المؤمن رجوعه إلى ربه، لم يرد فيها ذكر ذلك[5].

ثالثا:

قال تعالى: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة:112].

) ينظر: أسرار التكرار في القرآن، 1.198:1(

) التحرير والتنوير، 2.160:21(

(3) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير التقفي الغرناطي، أبو جعفر، محدث مؤرخ من أبناء العرب الداخلين إلى الأدلس،انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والاصول، من كتبه: ملاك التأويل، البرهان في ترتيب سور القران...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي86:1، وينظر، الدرر الكامنة، العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، دار المعارف العثمانية، صيد، اباد، الهند، ط/1392،2هـ 30:5.

) ينظر: ملاك التأويل 4.388:2(

) المصدر السابق 5.389:2(

قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)[النساء:125]

قال تعالى: (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [لقمان:22].

في سورة البقرة افتتحت الآية بقوله: (بَلَى) وفيه ثلاثة وجوه، قال الرازي: «الوجه الأول: إنه إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة، الثاني: وإنه تعالى لما نفى أن يكون لهم برهان أثبت أن لمن أسلم وجهه لله برهان، الثالث: كأنه قيل لهم: أنتم على ما أنتم عليه لا تفوزون بالجنة، بلى إن غيرتم طريقتكم وأسلمتم وجهكم لله وأحسنتم فلكم الجنة؛ فتكون ترغيبًا لهم في الإسلام»[1].

المسالة الثانية:

اللام في اسلم، تعدى الفعل أسلم (باللام) في سورتي البقرة والنساء، وتعدى بـ(إلى) في سورة لقمان، وللزمخشري رأي في ذلك إذ قال: « فإن قلت: ماله عدّى بـ(إلى) وقد عدّى باللام في قوله (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) قلت: معناه مع اللام: أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالمًا لله؛ أي: خالصًا له. ومعناه مع إلى: أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه»[2] وقال الرازي: «من أسلم وجهه لله أعلى درجة ممن يسلم وجهه إلى الله، لأن إلى للغاية، واللام للاختصاص»[3].

) ينظر: مفاتيح الغيب 1.6:4(

) الكشاف، 3:449- 2.500(

) ينظر: مفاتيح الغيب 125:25 .3(

وقد ورد قوله: (وَهُوَ مُحْسِنٌ) في الآيات الثلاث لبيان أهمية الإحسان والترغيب فيه، قال القرطبي: «لأن العبادة من غير إحسان ولا معرفة القلب لا تنفع»[1].

جاءت جملة: (وَهُوَ مُحْسِنٌ) في الآيات الثلاث جملة اعتراضية، فما سبب الاعتراض بالإحسان قال ابن عاشور: إن في مجيء جملة (وَهُوَ مُحْسِنٌ حالية لإظهار أنه لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص، بل لا نجاة إلا بهما ورحمة الله فوق ذلك، إذ لا يخلو أمرؤ عن التقصير[2].

رابعا:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:22].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[القصص:14].

ذكر الرازي: أن بلوغ الأشد إشارة إلى اعتدال الآلات البدنية، وفي قوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ إشارة إلى استكمال النفس في قوتها العملية والنظرية[3].

ما السر في ذكر لفظ (وَاسْتَوَى) في قصة موسى، وحذفه في قصة يوسف؟

والذي يفرق بين المكانين حتى لم ينتظر بيوسف υ الاستواء بعد بلوغ الأشد هو أن يوسف υ أخبر الله تعالى أنه أوحي إليه لما طرحه إخوته في الجب حيث قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15] وأراه عز وجل الرؤيا التي قصها على أبيه، موسى υ لم يفعل به شيء من ذلك إلى أن بلغ الأشد واستوى، لأنه لم يعلم ما أريد به إلا بعد أن استأجره شعيب υ، ومضت سنون إجازته وسار بأهله،

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 1.74:14
(2) ينظر: التحرير والتنوير 2.675:1
(3) ينظر: مفاتيح الغيب 3.437:18

فهناك آتاه ما آتاه من كرامة الله تعالى وقيل: إنه بعد الأربعين، فلم ينتظر بيوسف في إيتاء الحكم والعلم والتشريف بالوحي ما انتظر به موسى[1].

إن استوى بمعنى بلغ أشده، فيكون تأكيدًا، والحق أن الأشد كمال القوة لأن أصله جمع شدة بكسر الشين بوزن نعمة وأنعم وهي اسم هيئة بمعنى القوة ثم عومل معاملة المفرد. وأن الاستواء: كمال البنية كقوله تعالى: في وصف الزرع ﴿فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: 29] ولهذا أريد لموسى الوصف بالاستواء ولم يوصف يوسف إلا ببلوغ الأشد خاصة لأن موسى كان رجلا طويلا كما، في الحديث «كأنه من رجال شنؤة» فكان كامل الأعضاء ولذلك كان وكزه القبطي قاضيا على الموكوز. والحكم: الحكمة، والعلم: المعرفة بالله[2].

﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً في عنفوان أمره، وأنّ الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه. وعن الحسن: من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله[3]؛ أي: عندما صار كهلًا.

---

[1]) درة التنزيل، الإسكافي 2:798.(

[2]) التحرير والتنوير، ابن عاشور 20:87.(

[3]) الكشاف، الزمخشري 2:454.(

الفصل الثاني

البنية التركيبية في آيات الإحسان

وفيه مباحث:

المبحث الأول: التوكيد في آيات الإحسان.

المبحث الثاني: التقديم والتأخير في آيات الإحسان.

المبحث الثالث: التنكير والتعريف في آيات الإحسان.

المبحث الرابع: الذكر والحذف في آيات الإحسان.

المبحث الخامس: القصر في آيات الإحسان.

المبحث السادس: الالتفات في آيات الإحسان.

المبحث السابع: الجملة الإنشائية في آيات الإحسان.

توطئة:

إن الالفاظ لا قيمة لها إلا إذا كانت مركبة، مرتبطة بعضها ببعض، وكانت كالنسيج الواحد، ففي هذه التراكيب تكمن المعاني، وذلك يتضح من أن «المعاني لا يحصل لها الاتصاف بالبلاغة، ولا ترتقي إلى مرتبتها إلا بالإفادة، وهي متوقفة على التركيب لا محالة»[1].

والتراكيب تختلف وتتنوع من معنى إلى آخر، وفقًا لما يقتضيه الحال، والجملة لا تكون مركبة إلا إذا أسندت ألفاظها إلى بعضها، فتكونُ بذلك جملة مفهومة وواضحة، إذ إن الكلام يكتمل عندما يسند إلى بعضه؛ لأن «الإسناد أصل الفائدة ومناطها، فليست معاني الشعر وقضايا الفكر، وروايات التاريخ، وأصول العلوم كلها، إلا فكرا ومعاني، ودلالات، هي ولائد الإسناد وبناته، والإسناد يعني أن تثبت الشيء للشيء أو تنفيه عنه، كقولك: جاشت أشواقه، فقد أثْبَتَّ الجَيَشَانَ للأشواقِ، فالجَيَشَانُ مُثْبَتٌ، والأشواق مثبتٌ له، فلو قلت: الأشواق...الجيشان لم تفد شيئًا، وإنما أفادت بالإثبات وبأن قلت: جاشت أشواقه، فأثبت للأشواق فعلاً وحدثًا هو الجيشان»[2].

فالجملة لا تؤدي معناها كاملاً إلا إذا كانت مركبة من أجزاءها: المسند والمسند إليه، لا يستغنى أحدهما عن الآخر، ذكر عبد القاهر: أن المبتدأ مبتدأ؛ لأنه مسند إليه، ومثبت له المعنى، والخبر خبرًا؛ لأنه مذكور بعد المبتدأ، كان المبتدأ مبتدأ؛ لأنه مسند إليه، ومثبت له المعنى، والخبر خبرًا؛ لأنه مسند ومثبت إليه المعنى[3].

وبعد أن وقفت وقفةً يسيرةً على معنى التراكيب سأصطفي من آيات الإحسان بعض التركيبات وفق الآتي:

---

(1) الطراز، العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، ط/1، 1423هـ 11:1 .

(2) خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، مطبعة وهبة، ط/7، (د:ت) 77:1.

(3) ينظر: دلائل الإعجاز 189:1.

المبحث الأول

التوكيد في آيات الإحسان

التوكيد من: الْوَاوُ وَالْكَافُ وَالدَّالُ: «كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَإِحْكَامٍ، وَأَوْكِدْ عَقْدَكَ؛ أَيْ: شُدَّهُ، وَالْوِكَادُ: حَبْلٌ تُشَدُّ بِهِ الْبَقَرَةُ عِنْدَ الْحَلْبِ، ويَقولُونَ: وَكَدَ وَكْدَهُ، إِذَا أَمَّهُ وَعُنِيَ بِهِ»[1]. قال ابن منظور: «وَكَّدَ العَقْدَ والعَهْدَ: أَوثَقَه... ويُقَالُ: أَوْكَدْتُه وأَكَّدْتُه وآكَدْتُه إِيكادًا؛ ... أَي: شَدَدْتُه، وتَوَكَّدَ الأَمر وتأَكَّدَ»[2].

(1) معجم مقاييس اللغة، الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، 1399هـ 138:6.

(2) لسان العرب ، ابن منظور، (وكّد) 466:3.

نلاحظ من هذه الأقوال أن التوكيد: هو شدٌّ وتوثيق وإحكام، ليصبح بذلك الكلام قويًّا لا ثغرة فيه.

أما التوكيد اصطلاحًا: «تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره»[1].

ويراعى في التوكيد حال المخاطب، إمّا أن يكون خالي الذهن؛ وإمّا مترددًا، وإمّا منكرًا، فإذا كان خالي الذهن فإنه لا يحتاج عند مخاطبته إلى أداة تأكيد، وإذا كان مترددًا تستعمل أداة توكيد لتوضيح المعنى وتقويته لديه، وإذا كان منكرًا وجب التأكيد بأكثر من أداة؛ لترسيخ المعنى عنده .

وقد يخرج الكلام على السياق المعتاد بأن يجري الكلام على خلاف الظاهر من حال المخاطب، وذلك بإحدى الحالات الآتية:

- يُنَزّلُ غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من علامات الإنكار، كقوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ} [المؤمنون:15]. فقد أكدّ بـ(إنَّ) واللام مع أنهم يعلمون بأن الموت حقيقة، واجب وقوعها، ومع ذلك خاطبهم مخاطبة المنكر؛ لأنهم لم يعملوا في دنياهم لآخرتهم.

- وينزل المنكر منزلة غير المنكر، كقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُون}[المؤمنون :16] إذ أثبت البعث بتأكيد واحد، مع إنهم ينكرون يوم البعث أشد الإنكار؛ أي: يوم القيامة واقع لا محالة، فلا يعتد بإنكار هذا المنكر.

- وينزل خالي الذهن منزلة السائل، إذا ظهر عليه ما يدل على تردده، كقوله تعالى: {وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ}[هود:62]، جاء الخبر مؤكداً بـ(إنَّ) واسمية الجملة، إذ ظهر على المخاطب شيء من علامات التردد، فجاء الخبر مؤكداً؛ أي: هلاكهم واقع لا مفر منه.

---

(1) الطراز، العلوي2:94.

إن للتوكيد دور في تقوية المعنى وزيادة تثبيته، فعند صدور الشيء مؤكداً ينفي عن المخاطب كل شك، ومن ذلك يتضح بأن فائدة التوكيد: هي «تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الخطأ في التأويل»[1].

ولأسلوب التوكيد أدوات تقرر المعنى وتقويه، وهي كثيرة ومتنوّعة، حيث إن كل أداة من هذه الأدوات تؤدي الغرض المراد توصيله إلى المتلقي، ومؤكدات الحكم في الضربين الطلبي والإنكاري من أضرب الخبر هي: «إنَّ، وأنَّ، والقسم، ونونا التوكيد، ولام الابتداء، واسمية الجملة عند قصد التأكيد بها، وتكرير الجملة، وأما الشرطية، وحروف التنبيه، وحروف الزيادة، وضمير الفصل...»[2].

وقد حظي التوكيد في تراكيب آيات الإحسان بنصيبٍ وافرٍ، ولعل ذلك راجع إلى ما عليه حالة المتلقّين لدعوة الإحسان، وعلى هذا سأتناول الآيات التي اشتملت على التوكيد حسب الترتيب القرآني مبيّنةً دواعيه:

الآية الأولى:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)[النساء:10].

نزلت في الكفار الذين كانوا لا يورثون النساء والصغار، ويأكلون أموالهم، وقال أكثر الناس: نزلت في الأوصياء الذين يأكلون ما لم يصح لهم من مال اليتيم، وهي تتناول كل آكل وإن لم يكن وصيًا[3].

---

(1) شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، 1422ه 221:2.

(2) معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة 1: 37- 38.

(3) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية 14:2 .

جاء الخبر مؤكداً بـ (إنَّ) لتقرير مضمون ذلك الخبر، وتأكيداً له، وقد أثبت هذا التوكيد الفعل المنسوب إليهم وهو أكل مال اليتيم، كما أن في تأكيده جزماً قاطعاً بالعذاب الذي ينتظرهم يوم القيامة .

عبرعن أولئك الذين يُتلفون ويبذرون أموال اليتامى بالأكل، يقول الرازي: إن الأكل لا يكون إلا في البطون فما سبب ذكر البطون في هذا المقام؟ وجوابه: أنه كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[آل عمران:167] فالقول لا يكون إلا بالفهم، فالغرض من الذكر هنا التأكيد والمبالغة[1].

وقد جاء التعبير بالفعل المضارع (يأكلون) للدلالة على التجدد والاستمرار، وتكرار الحدث، قال أبو حيان[2]: «جاء يأكلون بالمضارع دون سند الاستقبال، وسيصلون بالسين، فإذا كان الأكل للنار حقيقة فهو مستقبل، استغنى عن تقييده بالسين بعطف المستقبل عليه، وإذا كان مجاز فليس بمستقبل،إذ المعنى: يأكلون ما يجر إلى النار ويكون سبباً إلى العذاب بها»[3].

لما كان أكل مال اليتيم يجر إلى النار والتعذيب بها عبر عن ذلك بالأكل في البطن[4].

ذكر الأكل هنا إلا إنه المراد منه كل أنواع الائتلافات، فإن ضرر اليتيم لا يختلف بأن يكون إتلاف ماله بالأكل أو بطرق آخرى[5].

وفي هذه الآية مجاز مرسل علاقته السببيه، حيث ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ سوف يكون ذلك سببا لعذابهم بالنار، فكأنهم يأكلون النار[6].

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي 9: 506-507.

(2) هو: محمد بن يوسف علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، نحوي ولغوي ومفسر ومقرىء ومؤرخ وأديب، من كتبه: البحر المحيط في التفسير، والتذكرة في العربية...وغير ذلك، ينظر: بغية الوعاة 1:280- 285.

(3) البحر المحيط 3:531 .

(4) المصدر نفسه.

(5) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي 9:507 .

(6) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 4:254 .

ومن الجوانب البلاغية كذلك أنه خصص (في بطونهم) بالذكر دون غيرها لأنها محل المأكولات، وقد عبر بها للاختصاص والتعريض، فالتخصيص لأنها محل المأكولات، والتعريض بذكر البطون لخستهم وسقوط همتهم والعرب تذم بذلك[1].

إن في تقديم صلة الموصول الموكدة بأداة التوكيد (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا) للاختصاص، وإبراز اللهفة في نفس المتلقي لمعرفة الخبر، فكأنه إجابة عن سؤال سائل، ما جزاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، فكان الجواب: (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا).

جاءت هذه الآية وما بها من هذه المؤكدات افتتاحها بـ(إنَّ) واسم الموصول والأفعال المضارعة الدالة على الاستمرارية، فقد خاطب الله الذين يأكلون أموال اليتامى مخاطبة المنكر؛ لحاجة هؤلاء اليتامى لهذه الأموال وتذكير للأوصياء عليها بعدم تبذيرها وإتلافها.

الآية الثانية:

قال تعالى: [وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ)[المائدة:12].

إنّ الله أخذ على بنى إسرائيل عهودًا ومواثيق، وأسند هذا الأخذ إليه تحبيبًا لهم، والحث على الالتزام به؛ أي: العهد والميثاق، ومقابل تمسكهم وعدم مخالفتهم لهذه العهود أحسن إليهم، مؤكدًا هذا الإحسان ببعض أدوات التوكيد، ولغرض بلاغي.

---

[1] ينظر: البحر المحيط، أبي حيان 532:3 .

جاء التأكد في بداية الآية (باللام وقد) في قوله: [وَلَقَدْ أَخَذَ) لبيان أهمية ميثاق بني إسرائيل مع الله، وضرورة الوفاء به، وفيه تنبيه على قيمة هذا العهد وغيره من العهود ما لم تخالف الشرع.

وقد اسند الأخذ إليه، لأنه هو الذي أمر به موسى υ ولأن في إسناد أخذ الميثاق إليه- سبحانه- زيادة في توثيقه، وتعظيم توكيده [1].

وأعطى التأكيد صورة أخرى في أن الله مع كل المحسنين؛ إذ كرر لفظ الجلالة (الله) في قوله: [وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ) وفي هذا التكرار زيادة للتأكيد والتفخيم، فزاد التأكيد بـ(إن) والظرف والجار والمجرور في قوله :[إِنّى مَعَكُمْ) لبيان أن الله معهم محسن إليهم في كل وقت، لا يخفى عليه أمر.

واللام في [لَئِن)لام توكيد، ومعناها القسم، وكذا [لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ)،[وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ) وقيل: المعنى: لئن أقمتم الصلاة لأكفرن عنكم سيئاتكم، وتضمن شرطاً آخر لقوله:[لَأُكَفِّرَنَّ) أي إن فعلتم ذلك لأكفرن، وقيل: قوله: [لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ) جزآءً لقوله: [إِنِّي مَعَكُمْ) وشرط لقوله: [لَأُكَفِّرَنَّ)[2].

وفي قوله: [وَأَقْرَضْتُمُ الله) بالإنفاق في سبيله، وقوله: [قَرْضًا حَسَنًا) جاءت عبارة القرض مصدراً مؤكدًا وفي تكرار لفظ القرض تأكيد بأن العطاء من الله، ووصف القرض هنا بالحسن للتحبيب والترغيب في هذا الإنفاق؛ لأن الإنفاق أثقل شيء على الإنسان، ولذا نجد في القرآن تقديم الجهاد بالمال على النفس.

---

(1) التفسيرالوسيط، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط/1 79:4.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 114:6.

وقوله تعالى: [لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) أكد الله إحسانه إليهم بهذا القسم للتحبيب والترغيب، وفي إضافة الضمير(كم) إلى السيئات إشارة إلى محو جميع السيئات صغيرة، كانت أو كبيرة.

ومجيء التأكيد باسم الإشارة والجار والمجرور في قوله: (فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ) للترهيب؛ أي: من كفر بعد هذا الميثاق، فقد خسر الدنيا والآخرة، قال أبو السعود: الفاء للترتيب؛ أي: من كفر بعد هذا الميثاق، فإنه خرج عن الطريق السوي، وتغيير السبك في قوله: (كَفَرَ) فلو كان في غير القرآن لقال:(كفرتم) عطف على الشرطية السابقة [1].

وفي قوله: [فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السبيل) أي: ضل وسَطَ الطريق الواضحَ ضلالاً بيِّنًا[2]، وهذا الضلال تمّ التأكيد عليه بقوله: [فَقَدْ) التي بدأ بها الآية، وهذا التأكيد فيه إشعار بالتهويل لمن نقض العهد؛ لأنه خرج عن طريق الهدى والحق، وفيه ترغيب لمن مضى على العهد بالفوز بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وهذا هو ثواب المحسنين.

الآية الثالثة:

قال تعالى: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[النساء:128]

جعل الله الإحسان في كل شيء، حتى في الحياة الزوجية، فقد أمر بالإصلاح أو بالانفصال على تعاطف وتواد.

---

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبي السعود3:15.

(2) المصدر نفسه.

فإن خافت المرأة من بعلها، توقعت منه أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وأن يؤذيها بضرب أو بسب، ويعرض عنها بأي سبب من الأسباب من طعنٍ في السن أو دمامة فلا بأس أن يصلح بينهما[1].

دلتّ هذه الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح، فقد جاءت مشتملة على العديد من المؤكدات: المصدر المؤكد في قوله: (صُلْحًا) الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) والإخبار عنه بالصفة التي دلت على السجية في قوله تعالى: (الشُّحَّ)[2] الخطاب هنا موجه إلى الأزواج في حسن المعاشرة، فقد نزل خالي الذهن منزلة المنكر، واتضح ذلك من تعدد المؤكدات في الآية الكريمة؛ ليدل على أهمية الصلح وأثره على النفوس .

أكد سبحانه هذا الصلح، بقوله تعالى: (صُلْحًا) للإشارة إلى وجوب أن يكون الصلح بينهما حقيقًا، لا شكليًا، وأن يكون بحيث تتلاقى القلوب، وتصفو النفوس، وتشيع بينهم المودة والرحمة، ويرضى كل منهما بما قسم الله له[3] ولأهمية الإحسان إلى المرأة، وبيان الأثر الذى ينشى عن الصلح تكررت أداة التوكيد (إنْ) في الآية أكثر من مرة.

وفي التذيل في قوله: (وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أن تحسنوا؛ أي: بالإقامة على نسائكم فإن كرهتموهنَّ وأحببتم غيرهنَّ وأردتم أن تتقوا النشوز والأعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة المحوجة إلى الصلح فإن الله كان بما تعملون من الإحسان والتقوى خبيرًا فيثيبكم على ذلك[4].

الآية الرابعة:

1.) ينظر: الكشاف، الزمخشري 1:571.(
2.) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 5:217.(
3.)ينظر: تفسير الوسيط، الطنطاوي 3:330.(
4.) غرائب القرآن، النيسابوري 2:510.(

قال تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[المائدة:93].

رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها، إذ ما أتقوا ما حرم عليهم منها آمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان، ثم اتقوا وأحسنوا، ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم[1] .

أكدَّ بالتكرار في هذه الآية على الأمر بالتقوى والإحسان، قال الرازي: «إنَّ المقصود من هذا التكرير التأكيد والمبالغة في الحث على الإيمان والتقوى»[2].

وفي قوله تعالى: (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) معطوفة على ما قبلها، لتأكيد معنى الاستمرار على هذه التقوى، طول مدة حياته مع إحسانهم إلى أنفسهم بالإكثار من العمل الصالح، وإلى غيرهم بما يستطيعونه من إسداد الخير إليه[3].

وفي قوله: (ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا) تأكيد لفظي لجملة (إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وقرن بحرف (ثم) الدال على التراخي الرتبي؛ ليكون إماءً إلى الازدياد والتقوى وأثار الإيمان، وأما جملة (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) فتفيد تأكيداً لفظياً لجملة (ثُمَّ اتَّقَوْا) وتفيد الارتقاء في التقوى بدلالة حرف (ثُمَّ) مع زيادة صفة الإحسان[4].

1.) الكشاف، الزمخشري 676:1(
2.) مفاتيح الغيب 427:12(
3.) تفسير الوسيط، الطنطاوي 287:4(
4.) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 36:7 .(

وفي قوله تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) تذيل قصد به تأكيد ما قبله من الحض على الإيمان والتقوى والإحسان، ومدح المتمسكين بتلك الصفات الحميدة [1].

وفي إسناد فعل المحبة إلى الله -عز وجل- فيه إثبات لصفة المحبة له على الوجه اللائق بجلالة عظمته، كما أن عودة الضمير في (يحب) على لفظ الجلالة توكيد لهذا الإسناد وإثبات له.

الآية الخامسة:

قال تعالى: [قالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنَا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[يوسف:90].

لقد أحسن الله إلى سيدنا يوسف، إذ جعل له مكانة عالية ومحبة فائقة لدى عزيز مصر، وجمعه بإخوته بعد طول غياب، وذلك كان نتيجة ثقته بالله وصبره، برغم ما حدث معه من شدائد، ولكن الله يثبت أجر المحسنين ولا يضيعه، وقد جاءت ببعض النكات البلاغية، أوجزها في الآتي:

جاءت الجملة مؤكدة بأن ولام الإبتداء وضمير الفصل؛ لشدة تحققهم أنه يوسف υ وبيان قدرة الله وإحسانه إليهم وكيف عرفهم يوسف بعد طول غياب، وهم لم يعرفوه.

وزاد من هذا التأكيد بتكرار لفظ يوسف، حيث قال: (أَنَا يُوسُفُ) صرح بالاسم تعظيماً لما جرى عليه من ظلم إخوته كأنه قال: أنا الذي ظلمتموني وأردتم قتلي، ولكن الله أوصلني إلى أعظم المناصب، فأصبحت عكس ما تتمنون، ولهذا قال: (وَهذا أَخِي)

) تفسير الوسيط، الطنطاوي 287:41(

مع إنهم كانوا يعرفونه حق المعرفة، ولكن كان مقصودة أن قال وهذا أيضا كان مظلوما كما كنت[1].

وجاء الأسلوب مؤكداً بـ(أنّ) عندما تحدث على الصبر والتقوى بقوله:[إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ) ليزيد معنى التقوى والصبر قوةً وإيضاحاً واقتران الصبر بالتقوى أفاد الترتيب أي: كلما كان الإنسان قريباً من ربه كان صابراً على المحن التي ينزلها الله عليه، بعد أن أكدّ بضمير الفصل على أنه هو يوسف، واسم الإشارة على أنه أخاه، ذكرعبد القاهر: من خصائص (إن) إنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذ هي لم تدخل عليه، بل تراه لا يصح حيث صلح إلا بها (فإنه لا يقال) هو من يتق ويصبر [2].

أما قوله: [فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) ففيه زيادة للمعنى، وأكد بإن وسميه الجملة للتنبيه إلى معنى الإحسان والجزاء الذى يحدث عند القيام به ومكانة المحسن.

فقد جيء بالعديد من المؤكدات في هذه الآية تعالج الريب وتقضي على التردد والشك الذي يصدر من إخوة يوسف υ.

الآية السادسة:

قال تعالى: [إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً) [الإسراء:7].

1(ينظر غرائب القرآن، النيسابوري 4:121. 1

2(ينظر: دلائل الإعجاز 1:2.317

أرشد الله بنى إسرائيل بأنهم إن أحسنوا في حياتهم فسوف يعود هذا الإحسان عليهم بالنفع والخير في الدنيا، بأن يكون معهم ويزيدهم قوة على قوتهم، ويدفع عنهم كيد أعدائهم، وإذ أساءوا فتعود الإساءة عليهم وتكون عاقبتهم وخيمة.

أكد الله سبحانه وتعالى الإحسان بـ(إنْ) وتكرار الفعل واللام الداخلة على أنفسكم، إذ أحسنتم بفعل الطاعات أحسنتم إلى أنفسكم، وإن أسأتم بفعل المحرمات أسأتم إلى أنفسكم، وعندما ذكر الإحسان أعاد اللفظة مرتين، وعندما ذكر الإساءة جاء بها مرة واحدة، لأن السيئة تجزى بمثلها[1].

وفي دخول اللام على الأفعال [لِيَسُوؤُا – لِيَدْخُلُوا – لِيُتَبِّرُوا) للتأكيد، فالفعلان [لِيَسُوؤُا- لِيُتَبِّرُوا) كان الغرض من التوكيد هو الترهيب والتخويف، إذ يبعث الله عليهم من يقبح وجوههم، ويدمر ما علوا تدميرا، والغرض من التوكيد في الفعل [لِيَدْخُلُوا) للتنبيه والتوضيح على أنهم دخلوا المسجد للمرة الثانية.

التَّتْبِيرُ التَّدْمِيرُ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ كَسَّرْتَهُ وَفَتَّتَّهُ، فَقَدَ تَبَّرْتَهُ[2] وقد يؤكد الفعل بالمصدر، وفي ذلك دلالة على ما للتبشير من الشر على النفس، والتحذير من الإساءة إلى النفس ولعل السر في التأكيد بالمصدر هو المحافظة على النغمة الموسيقية للآية كما في قوله تعالى: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)[المزمل:8].

الآية السابعة:

قال تعالى:[الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ)[الزمر:10]

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي 301:20 .

) لسان العرب، ابن منظور2.88:4(

قد بشر الله الذين يتبعون أفضل القول بأن كتب لهم الهداية، وجعلهم من أصحاب البصيرة، وهم أهل العقول النيرة، وكان ذلك جزاء لإحسانهم.

لقد ختم الآية السابقة لهذه الآية بقوله تعالى: [فَبَشِّرْ عِبَادِ) مما أدى إلى تشويق السامع في نوع البُشرى التي أعدها الله، للذين تركوا عبادة الأوثان، فقال: [الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) فجاء مشيرًا إليهم بالاسم الموصول، لقوة الوصف؛ أي: إنهم يتبعون أحسن القول الذي يقربهم إلى الله «وفي الموصول إيماء إلى أن إتباع أحسن القول سبب في حصول هداية الله إياهم»[1].

ودلَّ التعبير بالفعلين المضارعين على الاستمرارية والدوام، دوام الاستماع، ودوام الأتباع وعقب بالفاء في قوله:(فَيَتَّبِعُونَ) يدل على حرصهم على الاستماع بأنهم يتبعون أحسنه.

وجعل المسند إليه اسم إشارة للتأكيد الإحسان المتمثل في الهداية ولتمييز المشار إليهم، فهم جديرون بهذا الاهتمام؛ لأنهم نبذوا عبادة الأصنام، كما هو واضح في الآية التي قبلها، قال تعالى:(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ)[الزمر:9].

وفي تكرار اسم الإشارة زيادة تأكيد لهذه الهداية، وتميزهم أكمل التمييز[2] واجتمعت مؤكدات أخرى مع اسم الإشارة، وهي ضمير الفصل والتعريف قال: [وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ) «وفي إعادة اسم الإشارة تميزاً لهم بهذه الخصلة من بين نظرائهم وأهل عصرهم»[3].

الآية الثامنة:

قال تعالى: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) [المرسلات:44].

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور 366:23.

) ينظر: المصدر نفسه.2(

(3) ينظر: المصدر نفسه367:23.

حث الله على الإحسان، وجعله للمحسن مكانه رفيعة عنده، وقد أشملت هذه الآية على الترغيب والتحسر، في نظم قرآني بارع، تلاحظه من الآيات التي سبقت هذه الآية قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فكانت نتيجة أعمالهم، جزاهم الله وأكرمهم، بأن الكلم موجهه إلى المكذبين القصد منه التعريض، بأن حرمانهم من مثل ذلك النعيم هم الذين قضوا به على أنفسهم إذ أبوا أن يكونوا من المحسنين[1]، وفيه دعوة لأهل الجنة إلى الموائد الممدودة لهم وما عليها من نعيم الجنة وثمارها، فليأكلوا ما طاب لهم، وليهنئوا بما أكلوا وما شربوا، فهذا جزاء ما كانوا يعلمون، إنه الجزاء الذي أعده الله لأهل الإحسان من عباده[2].

قال الرازي: في قوله تعالى: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) المقصود منه أن يذكر الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة، ليعلموا أنهم لو كانوا من المتقين المحسنين؛ لفازوا بمثل تلك الخيرات، وإذا لم يفعلوا ذلك لجرمَ وقعوا فيما وقعوا فيه[3] .

قد افتتحت الآية بأن مع خلو المقام في التردد في الخبر، إذ الموقف يومئذ موقف الصدق والحقيقة، وذلك المقام مقام تعليل [4].

جاءت هذه الآية في مقام التشريف والتكريم، وذلك يفهم من الآيات التي قبلها... أي: كلوا أكلاً مريئًا واشربوا شربًا هنيئًا جزاءً بما كنتم تعملون في حياة الدنيا[5]، والجملة تأكيدًا لما سبق فإن المراد بالمحسنين هم المتقون، وفيه حث على الإحسان، يعني فأحسنوا أيها الناس يجزيكم كم ذكرنا[6].

الآية التاسعة:

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 444:29 .1(

) ينظر: التفسير القرآني للقرآن ، الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة (د:ط) (د:ت) 1407:15 .2(

) مفاتيح الغيب 780:30 .3(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 444:29. 4(

) ينظر: تفسير الوسيط، الطنطاوي 242:15 .5(

(6) ينظر: التفسير المظهري، المظهري، ت/غلام بني التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، 1412هـ 170:10

قال تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر:7]

افتتاح الآية بالاسم الموصول، في قوله تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ) ما يشير في النفس شوقًا إلى معرفة الخبر[1] وفي ذكر لفظ الجلاله والرسول ρ للتيمن والتبرك فإن لله ما في السماوات وما في الأرض، وفيه تعظيم شأن الرسولρ [2] .

وجملة (كَيْ لَا يَكُونَ) تعليلاً لقوله: (فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) أي: فالفيء وحكمه لله وللرسول، يقسمه على ما أمره الله تعالى، كي لا يكون الفي الذي حقه أن يعطى للفقراء بلغةً يعشون بها متداولا بين الاغنياء يتكاثرون به[3] .

وفي الانتقال من ضمائر الخطاب إلى الغيبة للترغيب والترهيب فمن عادة ضمائر الغيبة إنها تتفق إذ كان مرجعها واحد حتى لا يتشتت الذهن ولا يغمض المعنى[4] هذه الضمائر تعود على المسلمين، فالخطاب موجه إليهم لأنهم خوطبوا في بداية السورة قال تعالى: (مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا) [الحشر:2] [5].

وفي قوله: (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لطائف بلاغية:

- إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة [6].
- النهي هنا في الأمر الفي إن الله شديد العقاب على ما نهاكم عنه والأجود أن يكون هذه الآية عامة في كل ما أمر به الرسول ونهى عنه وأمر الغيء داخل في عمومه [7] .

) ينظر: من بلاغة القرآن، احمد البدوي، نهضة مصر، القاهرة، (د:ط) 2500م 1.107:1(

) روح المعاني، الألوسي 2.204:14(

) البحر المحيط، أبوحيان 141:10 .3(

) من بلاغة القرآن، أحمد البدوي 4.104:1(

) ينظر: التحرير والتنوير 5.86:28(

) روح المعاني، الألوسي 6.480:1(

) مفاتيح الغيب، الرازي 7.507:29(

- ختم الآية بالمؤكدات الثلاث إن الدالة على التوكيد ولفظ الجلالة والوصف بشدة، ما يؤكد هذا (الإنذار ويبرزه) [1].
- وفي تعريف (شديد) بالإضافة، لإظهار قوة هذا العقاب قال الزركشي: شديد العقاب صفة مشبهة وهي تشعر بالدوام والاستمرار، فتدلُّ على القوة ويشبه ذلك صفات الذات[2] .

) ينظر: زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (د:ط) (د:ت) 1.2026:4(

) ينظر: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/1، 1376هـ 2.476:3(

المبحث الثاني

التقديم والتأخير في آيات الإحسان

يعد مبحث التقديم والتأخير من المباحث المهمة في علم البلاغة، فهو أحد خصائص اللغة العربية، إذ يتيح للمتحدث الفرصة لتقديم ما يريد تقديمه والعكس.

وقد نجد أحيانًا في تقديم ما حقه التأخير دقائق بلاغية لا نراها إذا جاء السياق على النحو المعتاد، قال عبد القاهر: «هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان»[1]، ومن هنا نرى بأن التقديم والتأخير لم يكن اعتباطيًا إنما جاء ليناسب الحال.

يعد هذا الأسلوب أحد الأساليب البلاغية، وفي إيتاء العرب به دليل على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام؛ لما له من أثر حسن على القلوب ودور في إعطاء القدرة على التخاطب وذلك بجذب انتباه السامع ويتضح ذلك من الأغراض التي سيق لأجلها؛ فلا تكاد آيات الإحسان تخلو من هذا الأسلوب، وعلى هذا النحو قمتُ بجمع بعض هذه الآيات وفق السياق الآتي:

الآية الأولى:

قال تعالى:(الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ) [آل عمران:172]

---

1) دلائل الإعجاز ص: 106.

في قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) خبر مقدم على مبتدئه[1] أي: أحسنوا بطاعة الرسول واتقوا مخالفته[2] فهو شرط لنيل درجة الشهادة، أي: على هؤلاء المؤمنين أن يتمسكوا بما لهم وما عليهم؛ لينالوا الجزاء الذي أعده الله لهم، وفي هذا تحذير للمسلمين الذين ذكرهم الله، ومجدَّ عملهم، وأعلى منزلتهم[3].

وفي قوله: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ) من جاءت للتبيين، الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم[4].

الآية الثانية:

قال تعالى:(وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)[النساء:8].

ابتدأت الآية بـ(إذا) الشرطية، وقدم المفعول مع هنا (الْقِسْمَةَ) للعناية والاهتمام «قُدّمت مع كونها مفعولاً لأنها المبحوثُ عنها ولأن في الفاعل تعددًا فلو رُوعي الترتيب يفوت أطرافِ الكلام»[5].

قدمت لتكون أمام الحاضرين في اللفظ كما أنها أمامهم في الواقع، وهي نكتة للتقديم لم أر من ذكرها من علماء المعاني[6] وفي هذا التقديم جانب من الإلفة والمحبة والمؤاخاة بين المؤمنين بعضهم البعض.

1.) جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1424هـ 1:315.(
2.) زاد الميسر، للزوجي، تحقيق: عبدالرؤوف المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/1، 1422هـ1:349.(
3.) تفسير القرآني للقرآن، الخطيب 2:643 .(
4.) الكشاف، الزمخشري 1:441.(
5.) إرشاد العقل السليم، إبي السعود 2:147.(
6.) روح المعاني، الألوسي 2:422.(

وفي قوله: (فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ) أي: أعطوهم شيئًا من المال المقسومِ المدلولِ عليه بالقسمة وقيل الضميرُ لما وهو أمرُ ندبٍ كُلِّف به البالغون من الورثة تطييبًا لقلوب الطوائفِ المذكورةِ وتصدقًا عليهم[1].

الاية الثالثة:

(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) [النساء:127].

اشتملت هذه الآية على ألوان الترغيب بشأن الإحسان إلى النساء، وإلى المستضعفين من الولدان، وإلى اليتامى، حتى تعيش الأمة عيشة هانئة، يشعر ضعيفها برعاية قويها له، ويشعر قويها برضا ضعيفها عنه[2].

جاء بتقديم لفظ الجلالة في قوله تعالى: (اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ) للتنويه بشأن هذه الفتيا، والإشعار بوجوب التزام ما تضمنته من أحكام لأنها صادرة من العليم الخبير[3].

وفي هذا التقديم وعد بتبشير السائل المتحير بأنه قد وجد طلبه[4] إسناد الإفتاء الذى هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل إليه تعالى، إذ أنَّ المسند أمر تحيرت فيه العقول[5].

ذكر أبو حيان: بأن هذه الآية تضمنت من الفصاحة والبديع فن التكرار في: لفظ النساء، وفي لفظ اليتامى[6].

) إرشاد العقل السليم، إبي السعود 2:147.[1]
) ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي 3:329.[2]
) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 5:213، وينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي 3:326.[3]
) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 5:212.[4]
) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبي السعود 2:237.[5]
) ينظر: البحر المحيط 4:106.[6]

الآية الرابعة:

قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَبِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَالْجارِ ذِي الْقُرْبى وَالْجارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً }[النساء:36].

أمر الله بالإحسان إلى الوالدين، وجعل مرتبتهم بعد الأمر بالعبادة؛ لبيان فضلهما والاهتمام بهما، وطاعتهما فيما يرضي الله.

وقد جاء ترتيب الأوامر والنواهي وفق أغراض، يعجز الفصحاء عن مجاراتها، قدم الأمر على النهي في قوله: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) لإظهار كمال الإخلاص في العبادة، لينعم العبد بالرضا والفوز بالدارين، قال ابن عاشور: «الخطاب للمؤمنين قدم الأمر بالعبادة على النهي عن الاشتراك؛ لأنهم قد تغرر نفي الشرك بينهم وأريد منهم دوام العبادة لله والاستزادة منها ونهوا عن الشرك تحذيراً مما كانوا عليه في الجاهلية»[1]

وفي تقديم قوله: (وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً) قَدَّمَ مَعْمُولَ (إِحْسَانًا) عَلَيْهِ لِلِاهْتِمَامِ[2] فقد اختص الوالدين بالإحسان بعد عبادته؛ لإثبات أنهما أولى الناس بالإحسان، فتناسب تقديمها لفظا ومعنى، وذلك في طريقة معاملتهم.

وفي عطف الأمر بالإحسان إلى الوالدين على ما في معنى الأمر بعبادته، إشارة إلى عظيم حق الوالدين ومكانتهما، ونجد في القرآن الكريم أن عند الأمر بالإخلاص في عبادته يقترن معه الأمر في الإحسان إلى الوالدين، قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[الإسراء:23] وقال أيضا: (أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[الأنعام:151].

) التحرير والتنوير 48:51(

) المصدر نفسه . 2(

وقد جاء بالترتيب في بقية الآية للاستحباب، والاهتمام ببيان الأهم فالأهم[1] فقد جاء بذكر الأقارب بعد الوالدين مباشرة، وكأنه من لم يحسن إلى والديه لا فائدة من إحسانه.

وقدم العام على الخاص في قوله: (وَبِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ) فقد يكون من هؤلاء الأقارب يتامى ومساكين، ثم بعدها جاء بذكر اليتامى والمساكين الذين تأخذنا بهم عين الرأفة والشفقة، ثم الجار والصاحب كُلاً بحسب الحاجة.

وختم الآية بقوله: (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً) لإيضاح أهمية الإحسان، وكيف للإنسان أن يتعامل مع هؤلاء الفئات، وذلك بأن يتلطف معهم، ويحسْ التصرف إليهم، ولا يتعالى ويتكبر عليهم، وقد أكد هذا القول بـ(إنَّ) واسمية الجملة؛ لإظهار حالة الكره للمتكبر المختال.

الآية الخامسة:

قال تعالى:(وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[الأنعام:84]

أحسن الله لإبراهيم υ في هذه الآية إذ كرمه وقرَّ عينه، ووهب له ذرية صالحة، نتيجة إحسانه وإخلاصه في العبادة، فمن كمال نعمه أنه لم يبشره بالأبناء فقط؛ بل رزقه بالأحفاد أيضًا، فرفع من مكانتهم وجعلهم على رأس الصالحين.

ذكر التقديم في قوله: (كُلاًّ هَدَيْنا) للاختصاص؛ أي: كل منهم مستقل بالهداية مختص بها[2].

) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري 1.311:2(

) ينظر: تفسيرالمنار، القلموني 2.487:7(

وأفاد التقديم أيضا الاختصاص في قوله: (وَنُوحاً هَدَيْنا) «أفاد التقديم الاختصاص، فالهدايات الخاصة لم تحصل إلا لأفراد من العالم؛ وهم أولوا العزم من الرسل، الذى هو أحدهم»[1] ولكن نرى هنا بأن التقديم قد أفاد المدح والثناء؛ لأن الهداية لم تختص به وحده، إنما شملت بقية الأنبياء، ومنهم نوح ، لا يعتقد البعض أنَّ الهداية مقصورة على ذرية إبراهيم فحسب.

وفي التعبير بالأفعال الماضية (وَهَبْنا- هَدَيْنا) دلالة على الدوام والثبوت، فقد حصل كل من الوهب والهداية، تكريمًا وتشريفًا لهم.

وفي قوله: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) تنويه لهؤلاء المعدودين بشرف أصلهم وبأصل فضلهم[2] وترتيب الأنبياء في هذه الآية الواحد تلو الآخر كان للأسبق كان في النبوة، وإظهار مدى صبر كل واحد منهم.

وختم الآية بقوله: (وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) وذلك بالإشارة، لإظهار كمال العناية بهم، فلم يقل نجزي الأنبياء، إنما قال المحسنين، وذلك لبلوغهم الغاية القصوى من الإخلاص في العبادة والتوحيد والإحسان.

والتعبير بالفعل المضارع (نَجْزِي) دل على الاستمرارية، فجزاء الإحسان مستمر إلى قيام الساعة.

الآية السادسة:

قال تعالى: [وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها وَإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كانَ ذا قُرْبى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام:152].

) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420هـ 1.236:1(

) التحرير والتنوير، ابن عاشور338:72(

إن المحافظة على مال اليتيم فيها إحسان من الله إليه، وذلك بأخذه الميثاق من بنى إسرائيل أن لا يقربوا مال اليتيم، وان لا يبذّروه؛ بل يرشدوا فيه بإحسان، حتى يصل إلى سن البلوغ.

جاء بالترتيب في أخذ الميثاق، فبدأ بالنهي عن قربان مال اليتيم، إلا بالطريقة الصحيحة التي تكون في مصلحته، ويتضح ذلك من قوله: (إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فقد يكون كافل اليتيم فقير، لا قدرة له على توفير كل ما يحتاجه اليتيم، فحينئذ يأخذ من هذا المال ما يسد حاجة اليتيم وتربيته، ثم أمر بالمساواة في الكيل، والعدل في القول، والوفاء بالعهد قدم الجار والمجرور في قوله: (وَبِعَهْدِ اللَّهِ) للاهتمام بالعهد، والتشويق له، لإظهار الأجر الذى أعده الله للمحسنين إلى اليتامى، وازداد هذا العهد تشريفا عندما أضيف إلى الله.

وفي الإشارة باسم الإشارة (ذلِكُمْ) بيان لأهمية هذه الوصايا والالتزام بها، وقدم المفعول به على الفاعل في قوله: (وَصَّاكُمْ بِهِ) للاهتمام، وإظهار شأن الأمر الموصى به.

ثم ختم القول بعد ذكر هذه الوصايا بقوله: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) أي: تذكروها دائمًا واجعلوها منهاجًا لكم في حياتكم؛ لتعيشوا في سعادة ورخاء، قال الرازي: « إن الأمور الأربعة المذكورة في هذه الآية أمور مخفية غامضة تحتاج إلى استعمال الفكر حتى نقف على مواقف الاعتدال، لهذا قال: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون)»[1].

الآية السابعة:

قال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[يونس:26] .

) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 1.181:13(

فقوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) خبر مقدم وجملة (أَحْسَنُوا) صلة و(الْحُسْنَى) مبتدأ مؤخر[1] قال الأصم: معناه: للذين أحسنوا في كل ما تعبدوا به، ومعناه: أنهم أتوا بالمأمور به كما ينبغي، واجتنبوا المنهيات من الوجه الذي صارت منهياً عنها[2] .

وفي مجيء التقديم في هذه الآية للترغيب في الجنة ووصف حال المحسنين والمسيئين في الآخرة[3] أي: للذين أحسنوا العمل في الدنيا جزاهم الله بالحسنى وهي الجنة، وزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم[4] .

وفي قوله: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) تذييل قصد به تأكيد مدحهم ومسرتهم، أي: أولئك المتصفون بتلك الصفات الكريمة هم أصحاب دار السلام وهم خالدون فيها خلوداً أبدياً، لا خوف معه ولا زوال[5] .

الآية الثامنة:

قال تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)[الضحى:9].

اليتيم مفعول للفعل (تقهر) وقدّمَ للاهتمام بشأنه[6] وهو تعقيب على هذا الإحسان الذي أفاضه الله وما سيفيضه على نبيه، وأن من حق هذا الإحسان أن يقابل بالحمد والشكر لله رب العالمين، فلا تنهر اليتيم ولا تكسر بخاطره[7]؛ لأنه أحوج ما يكون لدفء الأبوة، وحنان الأمومة.

1.) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش 4:236(
2.) مفاتيح الغيب، الرازي17:240(
3.) التفسير المنير، الزحيلي 11:151(
4.) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1، 1420ه 2:417(
5.) تفسير الوسيط ، الطنطاوي7:59(
6.) التحرير والتنوير، ابن عاشور 30:401(
7.) ينظر: تفسير القرآني للقرآن، الخطيب 16:1602(

جاء التقديم من أجل المُشاكلة لرؤوس الآي، ومراعاة حسن الانتظام، واتفاق إعجاز النظم السجعية، كما في قوله تعالى: (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)[1] [الحاقة:31/30] .

فلو قال: فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل، لذهبت تلك الطلاوة، وزالت تلك العذوبة؛ فالقرآن معجز بأسلوبه ونظمه[2] .

فقد جاءت هاتان الفقرتان متساويتين، لم تزد أحداهما على الأخرى، مما تدل على أنه أعدل الأسجاع قوامًا وأجودهًا اتساقًا، وأعلاها مكانًا، وأوضحها بيانا[3]، والجرس الموسيقي فيها متسقًا يقع في الأذان عند سماعه بنغمة واحدة، وهذا أيضا من الإعجاز القرآني أن تتسق رؤوس الآيات مع بعضها البعض في الموسيقى.

) المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، مصر، (د:ط) (د:ت) 1.38:2(

) ينظر الطراز، العلوي2:38 .2(

) ينظر: المصدر السابق3:15 .3(

المبحث الثالث

التعريف والتنكير في آيات الإحسان

مفهوم التعريف والتنكير لا يخرج عن المفهوم النحوي للمعارف والنكرات، إلا أن علماء البلاغة أسسوا لهما في الدرس البلاغي، فزادوا الاختيار والعدول؛ أي: اختيار المعرفة التي تناسب درجة التخصيص، أو العدول عنها إلى معرفة أخرى لغرض بلاغي «ولا شبهة أن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في تعريفه أقوى ومتى كان أقرب كان أضعف، وبعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند إليه والمسند كلما ازداد تخصيصاً ازداد الحكم بُعْداً، وكلما ازداد عموماً ازداد الحكم قُرْباً»[1].

لكل من التعريف والتنكير أسبابه ودواعيه التي يقتضيها النظم، وعلى هذا سأتناول هذا الأسلوب في آيات الإحسان، مع بيان الغرض البلاغي الذى سيق لأجله:

الآية الأولى:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)[النساء:10]

وقد جاء تعريفهم بطريقة الموصول، وذلك لإظهار ما تضمنته صلة الموصول، وهو أكلهم لأموال اليتامى، كما أنهم أصبحوا مشهورين بهذا الوصف معروفين به، فجاء ذكرهم بطريق الموصول دلالة على هذا المعنى وإشارة إليه.

وفي قوله: (ظُلْمًا) لتأكيد والبيان[2]، وجاء بهذا اللفظ لكمال التشنيع عليهم، فهم يظلمون ضعيفًا لا يقوى على الانتصاف منهم[3] .

---

(1) مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب، بيروت، لبنان ط/178:13.
(2) روح المعاني، الألوسي 424:2 .
(3) ينظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة 1598:3 .

وفي تنكير للتهويل والتخويف، قال الزمخشري: ومعنى: أي: ما يجر إلى النار، فكأنه نار في الحقيقة، وروي: بأنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة، والدخان يخرج من قبره، ومن فيه، وأنفه، وأذنيه، وعينيه، فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا. والسعير النار المسعَّرة، أي: الملتهبة[1]، وذلك وصف لشدة العذاب والوعد والوعيد نتيجة ما أتلفوه من أموال اليتامى.

وجاء (سَعِيرًا) هنا نكرة لأن المراد نار من النيران مبهمة لا يعرف غاية شدتها إلا الله تعالى؛ أي: سيدخلون نار هائلة لا يعلم مقدار شدتها إلا الله عز وجل[2] .

فجاءت هذه النكرات لتبرز الصورة الفنية، وتوضح العاقبة الوخيمة، التي أعدها الله لمن يتعدى على مال اليتيم.

الآية الثانية:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[النساء:19].

صدرت هذه الآية الكريمة بالنداء الموجه إلى أهل الإيمان، فجيء بالتعريف بالموصوليه في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا) للتشريف، ودعوة لهم لتقبل الأمر المنهى عنه برحابة صدر، عُبّر عن ذلك بالذهاب به لا بالأخذ ولا بالإذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمُّنِه لأمرين كلٌّ منهما محظورٌ شنيعُ الأخذِ والإذهابِ منهن لأنه عبارةٌ عن الذهاب مستصحباً به[3].

---

[1] الكشاف 255:4.

[2] التفسير الوسيط، الطنطاوي 60:3 .

[3] إرشاد العقل السليم، ابي السعود 158:2.(

وتنوينُ خيراً لتفخيمه الذاتي ووصفُه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولدُ الصالحُ وقيل الأُلفةُ والمحبة[1].

الآية الثالثة:

قال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ}[يونس:26].

بشر الله عباده المحسنين بالجنة، إظهاراً للحماس والحث على تحريك الهمم؛ كي تنهض الأمة وتكون من أهل الفضل والإحسان، ولا يعتري وجوههم سواد ولا ضعف؛ بل تكون مستبشرة فائزة بالجنة، وملكاً لا يفنى.

جاء التعريف بالموصولية في قوله:(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) للترغيب، والتبشير والتشريف، لما قاموا به من أعمال صالحة فجعلت لهم الجنة مقاماً.

وقد أفاد تعريف كلمة (الْحُسْنى) الإستغراق[2]؛ أي: أعد لهم جزآءً لهذا الإحسان هو الجنة؛ لتكون مسكناً دائماً لهم، فجاء مخبرًا عنهم بالمكانة السامية، والإكرام الذى أعده لهم بأنهم ينظرون إلى وجهه الكريم، ونفى عنهم كل الصفات التي تُعكّر مزاجهم وتقبح أفعالهم، وتسوّد وجوههم.

جاءت (قَتَرٌ) هنا نكرة؛ لنفي كل ما يسوّد وجوههم، ويجعلهم في بؤس وشقاء، ذكر الرازي: إن الله صان أهل الجنة، وكرمهم، إذ جعل وجوههم لا يرهقها قتر ولا ذل، بخلاف الذين كفروا، وجعل المنفعة خالصة لهم، كما أشار بأن هذا التكريم وهذه النعم خالدة لا تنقطع عنده ابدا[3].

---

[1]) إرشاد العقل السليم، ابي السعود 2:158.(

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور 1:146.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب 4:230.

ومجيء كلمة (ذِلَّةٌ) أيضًا نكرة تفيد العموم؛ أي: اشتملت على جميع أنواع الذل، صغيرة كانت أو كبيرة، فلا يلحقوا بها، وفي ذلك تشريفا من الله -عز وجل- لهذه الوجوه.

وفي التعريف بالإشارة في قوله: (أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ) فائدة التشريف وبيان الحالة التى وصفهم الله بها، قال ابن عاشور: «واسم الإشارة يرجع إلى (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) وفيه تنبيه على أنهم استحقوا الخلود؛ لأجل إحسانهم»[1].

ذكرت كلمة الجنة في الآية مرتين، ولكن مع اختلاف في اللفظ فقد جاءت مرة بلفظ (الْحُسْنى) وجاءت مرة بلفظ (الْجَنَّةِ) وذلك للتشريف، وتكريم هؤلاء المحسنين، فقد أصبحت هذه الجنة مأوى لهم، والمكان الدائم الذى يتمتعون به، ومما يدل على ذلك قوله: (هُمْ فِيها خالِدُونَ) وجاء القول مؤكدا بضمير الفصل؛ لإظهار سمو مكانتهم، والدرجة السامية التي أعدها الله للمحسنين في سبيله، وهي الخلود في جناته.

الآية الرابعة:

قال تعالى: (أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً}[الكهف:31].

جاء التعريف باسم الإشارة (أُولئِكَ) للربط بما قبله، وهو قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) والتنبيه على أن المشار إليهم جديرون بالمكان الذى أعده الله بعد اسم الإشارة، وفي هذه الإشارة تأكيد بأن العمل الصالح والإيمان سبب في الجزاء والثواب الحسن[2] .

---

(1) التحرير والتنوير 147:11.

(2) ينظر: المصدر السابق 311:15

وفي قوله: (جَنَّاتُ عَدْنٍ) ذكرت بلفظ الجمع لسعتها، حيث كل بقعة منها تصلح أن تكون جنة[1]، وتنكيرها للتعظيم، واشتمال كل ما تحتوي عليه من مأكولات ومشروبات، وملبس، وغير ذلك.

جاءت كلمة (الْأَنْهارُ) معرفة؛ للتشويق، وبيان جمال المنظر، الذى تبتهج به العيون عند النظر إليه.

وفي التعبير بالأفعال المضارعة (يُحَلَّوْنَ- وَيَلْبَسُونَ) دلالة على الاستمرارية والدوام، فقد شرفهم بالجنة، وجعلها مكاناً لإقامتهم الدائمة، لما قدموه من أعمال صالحة.

وفي مجيء (أَساوِرَ) هنا نكرة لإبهام أمرها في الحسن[2].

ختمت الآية بقوله: (نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) إظهار لعظمة الثواب، والضمير في (حَسُنَتْ) يعود على جنات عدن، والمرتفق أصله من الاتكاء على المرفق، وهو دليل على الراحة والإطمئنان والنعيم[3].

الآية الخامسة:

قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[الزمر:10].

جاءت الحسنة هنا نكرة للتعظيم، فهذ التنكير يدل على النهاية والجلالة والرفعة، وذلك لا يليق بأحوال الدنيا، فإنها خسيسة ومنقطعة، وإنما يليق بأحوال الآخرة، فإنها شريفة وآمنة من الانقضاء والانقراض[4].

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 396:10.

(2) ينظر: الكشاف 720:2.

(3) ينظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة 4526:9.

) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي 430:264(

والتعريف بالإضافة في قولة تعالى: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) جاءت للحث والترغيب، حثَّهم على الهجرة من مكة إلى حيث يأمنون، وترغيب في أن تكون هذه الأرض هي أرض الجنة في الأخرة[1].

الآية السادسة:

قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}[غافر:64].

خلق الله الأرض ومن عليها، وجعلها مستقراً ثابتاً لجميع الأجناس، وخلق البشر فأحسن خلقتهم، وجعلها تختلف عن بقية الدواب، وجعل لهم أشهى وألذ الطيبات، لبيان عظيم فضله وإحسانه جل وعلا.

افتتح الآية بلفظ الجلالة [اللَّهُ) للتعظيم والتفخيم، فهو الخالق المصور المبدع، ومما يدل على ذلك الصفات التي جاءت بعد لفظ الجلالة.

وفي التعريف بالموصوليه في قوله: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً) إفادة الاختصاص؛ أي: أنه وحده من تميز بهذه الأفعال، من بناء وخلق ورزق وغيرها من الأفعال التي تدل على عظمته وقدرته.

ومما أفاد الاختصاص أيضاً التعريف بالعلمية في (الْأَرْض- السَّماء) فمن إحسان الله إلى عباده وعطفه بهم، أن جعل لهم الأرض مستقراً يعيشون عليها، والسماء جعلها كالقبة فوق رؤوسهم [2].

ومن أسرار التعريف بالعلمية في قوله: (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) أفاد العموم والشمول، فهذا الرزق يندرج تحته جميع ما لذ وطاب من طيبات الدنيا.

---

[1]) ينظر: زاد المسير، الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ 1، 1422هـ 4:10.(

(2) ينظر: الكشاف، الزمخشري 4:176.

الآية السابعة:

قال تعالى: (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَرَحْمَةً وَهذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرى لِلْمُحْسِنِينَ } [الاحقاف:12].

أحسن الله إلى العباد؛ بأن أنزل عليهم الكتب السماوية؛ لتخرجهم من الكفر إلى الإيمان، وتكون نذيراً للمشركين، وبشرى للذين آمنوا واهتدوا، إحساناً لهم؛ لإتباعهم ما جاء في هذا القرآن .

ذكر التعريف بالإضافة في قوله:(كِتابُ مُوسى) للتشريف، وذلك لرفع من مكانة سيدنا موسى، إذ جُعل هذا الكتاب إماما يأتمون به ورحمة أنزلها عليهم، وكما كان الكتاب المنزل على سيدنا موسى-ט- جاء هذا القرآن مصدق لجميع الكتب السماوية التي قبله، ولقد عُرَّف باسم الإشارة، قال تعالى: (وَهذا كِتابٌ) للتعظيم والتفخيم من شأن هذا الكتاب؛ لأنه اشتمل على الوعيد للذين كفروا، وبشرى للذين أحسنوا وأخلصوا في العبادة.

ومن أسرار التعريف في الآية ماعرَّفَهُ بالموصولية في قوله تعالى: (الَّذِينَ ظَلَمُوا) لتفيد التحقير والتقليل من شأنهم، لأنهم فقد كفروا وظلموا أنفسهم بعبادتهم غير الله، وابتعادهم عن طريق الحق.

المبحث الرابع

الذكر والحذف في آيات الإحسان

إن البلاغة مراعاة المقامات والأحوال؛ فالذكر موطنه بليغ مطابق، والحذف في مواطنه بليغ مطابق، إذا اقتضى مقام الحال ذكر المسند والمسند إليه فإن كمال البلاغة يكمن في الذكر؛ لأن إدراك المعنى متوقف عليه، أما إذا قامت دلائل الحال وتوافرت قرائن الكلام على الاستغناء عن الذكر؛ فإن الحذف يصبح مطلبا بلاغيا، ويكون الذكر عندئذ تقيلا على المتكلم والسامع[1].

فقال عنه عبد القاهر ما يدل على براعة هذا الأسلوب: «هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن» [2].

وللذكر والحذف أغراض ذُكرت في مظانها من كتب البلاغة، ويمكن تطبيقها على آيات الإحسان التي كان الذكر والحذف دور في بيان نسيجها.

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:58].

يتعدى الفعل (زاد) إلى مفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[الكهف:13] فقد حذف المفعول به الثاني في قوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(1) ينظر: خصائص التراكيب، محمد أبو موسى 180:1 .

(2) دلائل الإعجاز، الجرجاني 146:1.

وعد إلهي للمحسنين من عباده بالزيادة في رزقهم، وإغداق النعم عليهم، وكما يقتضي منطوق هذا النص وعدًا للمحسنين بالمزيد من فضل الله وكرمه، فإن مفهومه يتضمن وعيدا للمسيئين بالنقص والحرمان، على حد قوله تعالى: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)[إبراهيم:7][1]، وعلى هذا يكون تقدير الكلام سنزيد المحسنين نعيمًا، أو كرمًا.

جاء بحذف المبتدأ في قوله تعالى: (وَقُولُوا حِطَّةٌ) الحطة فعلها من الحط، كالجلسة والركبة، وهي خبر لمبتدأ محذوف؛ أي مسألتنا حطة، والأصل: النصب بمعنى: حط عنا ذنوبنا حطة، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات[2].

الآية الثانية:

قال تعالى: [وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[الأنفال:41].

أمر الله عباده بالجهاد في سبيله، وإعلاء راية الإسلام، وإنه على نصرهم لقدير، وكذلك أمرهم بالإحسان إلى بعضهم البعض، بتقسيم ما يتحصلوا عليه من غنائم في الحرب؛ وذلك جزاءً لما لاَقْوهُ من شدة وتعب.

حذف خبر المبتدأ في قوله تعالى:(فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) قال الزمخشري: «فأن لله مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: فحقٌّ، أو فواجبٌ أن لله خمسه...والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب، كأنه قيل: فلا بد من ثبات الخمس فيه، لا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات»[3]«ولأن في حذف أحد ركني

---

[1]) التيسير في أحاديث التفسير، الناصرى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط/1، 1405هـ 42:1.(

[2]) ينظر: الكشاف، الزمخشري 142:1.(

(3) المصدر السابق 221:2.

الإسناد تكثيرا لوجوه الاحتمال في المقدر، من نحو تقدير: حق، أو ثبات، أو لازم، أو واجب»[1].

وقوله: (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) أن ومصدرها مفعول لفعل محذوف، تقديره: ثبت والمعنى (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ) فقد ثبت وتقرر وحكم الله أن لله خمسه...وللرسول[2].

وفي افتتاح الآية بقوله: [وَاعْلَمُوا) «لاهتمام بشأنه، والتنبيه على رعاية العمل به»[3]، وجاء بشيء هنا نكرة للتقليل .

ونلاحظ هنا تكرار اللام في الكلمات الثلاث الأولى دون الباقي: [لِلَّهِ - وَلِلرَّسُولِ- وَلِذِي الْقُرْبى) فإنّ فيه «إعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الأصناف لدفع توهم اشتراكهم في سهم الرسول ρ»[4].

وكذلك حذف جزاء الشرط في قوله:[إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ) أي: «إن كنتم آمنتم بالله تعالى فاعلموا أنه - تعالى - جعل الخمس لمن جعل فسلموه إليهم فاقطعوا اطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية»[5].

وفي قوله:[أنزلناه) أي: ما أنزلناه من آيات قرآنية، وما أنزل من الملائكة على المسلمين ليثبت قلوبهم في الحرب وأن النصر لا محالة لهم، وفي إضافة النون إلى (عبدنا) تشريفًا وتكريمًا لرسول ρ وفي تكرار(يَوْمَ) لتعريض بغباوة السامع، وزيادة تأكيد.

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور8:10

) زهرة التفاسير، أبي زهرة 3132:6.[2](

(3) المصدر نفسه 5:10.

(4) إرشاد العقل السليم، أبي السعود 22:4.

(5) ينظر: المصدر نفسه 23:4.

وفي قوله: [وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أظهر لفظ الجلالة؛ للتعظيم؛ أي: أنه القادر على نصركم، وهزيمة عدوكم، فإن كنتم تؤمنون به فلا تستكبروا هذه الغنائم التي تحصلتم عليها على الفقراء والمحتاجين[1].

الآية الثالثة:

قال تعالى: [وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ)[الرعد-22].

جعل الله مكانة سامية للذين صبروا، وذلك إحسان منه إليهم، لما قاموا به من أعمال صالحة، دلت على إخلاصهم في وحدانية الله.

حذف الموصوف في قوله تعالى: [وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) وتقدير الكلام: ويدرؤن بالحالة الحسنة السيئة، وفي تقديم الحسنة على السيئة يفيد الاهتمام.

وفي إضافة الضمير إلى(رَبِّهِمْ) لتشريف، والرفع من مكانتهم، وذلك لأنهم صبرهم كان لغرض الفوز برضى الله عز وجل، وابتغاء وجهه الكريم، وكذلك أضيفت نون العظمة والضمير إلى (رَزَقْناهُمْ) فالرزق لا يكون إلا من عند الله، فهو المسبب الرئيس فيه، وإنما جاء بالضمائر للتفخيم والتعظيم.

وفي التعبير بالأفعال الماضية ﴿صبروا- أقاموا- أنفقوا﴾ دلالة على تحقيق هذه الأمور لامحالة، وإن هؤلاء الذين يقابلون السيئة بالحسنة، نالوا السعادة في الدنيا والأخرة، ولهم حسن العاقبة، وقد أكد على ذلك المجيء باسم الإشارة [أولئك) «والمجيء باسم الإشارة لدلالة على أن المشار إليهم جديرون بما بعد اسم الإشارة»[2].

---

(1) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري 2:311.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور 13:124.

الآية الرابعة:

قال تعالى: (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[المؤمنون:4] .

أحسن الله إلى العبد إذ أبدع في خلقه، وإنشائه، وذلك يتضح من مراحل تكوينه، مرحلة تلو الأخرى، بياناً لعظمة هذا الخالق، وقدرته الالهية في الصنع، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وفي ذكر اسم الجلالة (اللَّهُ) إظهار في موضع الإضمار، للتعظيم، وبيان أنه وحده قادر على الخلق لا يمثله أحد.

جاء بالحذف في قوله: (أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) أي: «أحسن الخالقين، حذف المميز لدلالة الخالقين عليه»[1] واستعمال (أَحْسَنُ) أفعل التفضيل لتأكيد بأنه أفضل الخالقين خلقاً، وعقب بعد ذلك بالفاء في الأفعال: [خَلَقْنَا- كَسَوْنَا) التي بينت المراحل التي خلق فيها الإنسان، وقد تكرر ضمير المتكلم في هذه الآية خمس مرات، حيث ورد الضمير مسنداً إلى الذات العليا، وهو الله، لأنه هو وحده له مقاليد الأمور يخلق ما يشاء ويمنع.

وجاء بتكرار حرف العطف (ثُمَّ) التي دلت على التراخي، فقد استكمل الله عز وجل إنشائه، وأكمل إبداعه، فتبارك الله أروع الخالقين.

الآية الخامسة:

قال تعالى:[وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[فصلت:34].

(1) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي84:4.

من أفضل خصال المحسن أنه يقابل الإساءة بالحسنة، ويصبح بذلك عدوه أقرب المقربين لديه، لما لهذا المحسن من خصال حميدة، يكون له الجزاء العظيم في الدنيا والآخرة.

حذف المضاف، والتقدير: لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة[1] وفي اجتماع النفي بالمساواة بين الحسنة والسيئة والأمر بدفع التي أحسن إثارة الرغبة فينا حتي ينقلب العدو بعد هذا الدفع إلى صديق حميم.

وجاء حذف جملة جواب الشرط في قوله: [ادْفَعْ)«أي ادفع السيئة حيث اعترضَتْكَ من بعض أعاديك بالتي هي أحسن منها»[2].

فصل بين الجملتين فالجملة الأولى خبرية لفظا ومعنى والجملة الثانية إنشائية لفظا ومعنى، والفصل بينهم لا يوهم خلاف المقصود لذا وجب الفصل لكمال الانقطاع، فكأن هذه الحالة جواب عن سؤال سائل ما جزاء من يقابل السيئة بإحسان فكان الجواب: فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، أي: إذ قابلت السيئة بالحسنة صار عدوك مثل الولي الحميم .

الآية السادسة:

قال تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)[الإنسان:8]

ففي استعمال الفعل (يُطْعِمُونَ) بدل من (ينفقون) قال الرازي: إطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك بالطعام بعينه، ووجه ذلك أن أشرف أنواع الإحسان هو الإحسان بالطعام وذلك، لأن

---

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبي السعود8:14.

(2) المصدر نفسه.

قوام الأبدان بالطعام ولا حياة إلا به[1]، جاء التعبير بالفعل المضارع (يُطْعِمُونَ) للدلالة على الدوام والاستمرارية.

وجاء ذكر الطعام هنا لنكتةٍ بلاغية، فإن معلوم الإطعام يكون بالأكل فلماذا ذكر لفظ الطعام هنا:

قال الألوسي: «وذكر الطعام مع أن الإطعام يغني عنه لتعيين مرجع الضمير على الأول؛ ولأن الطعام كالعلم فيما فيه قوام البدن، واستقامة البنيه وبقاء النفس ففي التصريح به تأكيد لفخامة فعلهم على الآخرين»[2]، وقال ابن عاشور: «التصريح بلفظ الطعام مع إنه معلوم من فعل يطعمون توطئة ليبنى عليه الحال وهو (عَلَى حُبِّهِ) فإنه لو قيل ويطعمون مسكيناً ويتيماً وأسيراً لفات ما في قوله: (عَلَى حُبِّهِ) من معنى إيثار المحاويج على النفس، على أن ذكر الطعام بعد يطعمون يفيد تأكيد مع استحضار هيئة الإطعام حتى كأن السامع يشاهد الهيئة»[3].

وفي قوله تعالى: (عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) على حبه، تتميم جيء به للمبالغة[4].

وفي عودة الضمير في (عَلَى حُبِّهِ) أقوال: قيل: يعود على الطعام، أي: إنهم يطعمون الطعام مع اشتهائه والحاجة إليه، ونظير قوله: (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ)[5].

---

(1) مفاتيح الغيب 747:30.

(2) روح المعاني171:15.

(3) التحرير والتنوير384:29.

(4) ينظر: الإيضاح، القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط/3، (د:ت) 213:3.

(5) ينظر: الكشاف، الزمخشري668:4.

وقيل: إن الضمير يعود على الله والمعنى أنهم يطعمون الطعام على حب الله، أي: لوجهه ابتغاء مرضاته، وهذا المعنى وضحه قوله تعالى: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ)[1].

وفي ذكر الجار والمجرور هنا (عَلَى حُبِّهِ) تشريفاً لحالتهم وتكريماً لهما، إذ إنهم يطعمون إيثارًا للنفس أي: ويطعمون الطعام محبةً له وشغف به[2].

قال ابن كثير[3]: «فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء أثروا على أنفسهم مع خاصتهم وحاجتهم إلى ما انفقوه»[4].

(1) ينظر: البحر المحيط، أبي حيان361:10.

(2) ينظر: تفسير المراغي، المراغي165:29.

(3) هو: عمر بن كثير بن ضو بن روع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ وفقيه، ولد في قرية من أعمال بصري الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق، ورحل في طلب العلم، من كتبه: البداية والنهاية، تفسير القران الكريم، طبقات الفقهاء الشافعيين، ينظر: الأعلام، الزركلي 320:1، ينظر، الدرر الكامنة، العسقلاني، 445:1.

(4) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط/2، 1420هـ 71:8.

المبحث الخامس

القصر في آيات الإحسان

القصـــر فـــي اللغـــة: الحـــبس[1]، قـــال تعـــالى: (حُـــورٌ مَقْصُـــورَاتٌ فِـــي الْخِيَـــامِ) [الرحمن:72].أي: محبوسات داخل خيامهن.

أما في الاصطلاح فهو: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[2].

وللقصر طرق كثيرة أشهرها أربعة[3] وهي على النحو الآتي:

- القصر بالنفي والاستثناء قال تعالى:(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ)[آل عمران:144].
- القصر بـ(إنما) قال تعالى:(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[فطر:28].
- القصر بحروف العطف: (لا) – (بل) – (لكن)
- القصر بتقديم ما حقه التأخير قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[الفاتحة:5].

أقسام القصر[4]:

قصر حقيقي وغير حقيقي، وكل واحد منهما ضربان:

قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف

لقد كان لآيات الإحسان نصيب في هذا الأسلوب، وعلى هذا قمت بدراسته وذكر أنواعه، وتوضيحها وفق الآتي:

) لسان العرب (قصر)5:99، تاج العروس (قصر)11:25. 1(

) ينظر: الايضاح، القزويني 3:2.5(

) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي 3:167- 3.170(

) الإيضاح، القزويني 3:4.7(

الآية الأولى: قال عز وجل: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ)[البقرة:83].

قد نهى الله عباده في بداية الآية على توحيد سواه، ثم أمر بالإحسان إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين، والإحسان في القول، والعمل بفرائض الإسلام البدنية والمالية.

يُذكّر الله بالميثاق الذي أخذه على بنى إسرائيل، وفيه حصر فعل العبادة بين (لا) الناهية وإلا الاستثنائية، وهو من قصر الصفة على الموصوف، قصر حقيقياً وقوله تعالى: [لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ) إخبار في معنى النهي[1]، فهنا أمر بتطهير النفوس من عبادة ما لا ينفع، وجعل العبادة خالصة له وحده، وهذا القصر جاء تأكيداً بالإخلاص في العبودية، كما في قوله: (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[لأحقاف:21].

وفي ذكر لفظ بني إسرائيل زيادة في ترسيخ المعنى وتمكينه في النفس، وفي ذكر الوالدين مباشرة بعد عبادة الله؛ حرص والترغيب في الاهتمام بهم والنظر في أمرهم[2].

وبعد هذا الميثاق الذى أخذه عليهم قال: [ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ) مجيء الحرف ثم يفيد بأن توليهم لم يكن مباشرةً؛ لأنه يفيد التراخي، وقد عطف على محذوف؛ أي: فقبلتم الميثاق ثم توليتم[3].

([1]) الكشاف، الزمخشري 159:1، ينظر صفوة التفاسير، الصابوني 67:1.

(2) ينظر: حاشية القولولوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين الحنفي، ضبطه: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1، 1422هـ 466:3.

(3) ينظر إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش137:1 .

وقوله: (إلا قليلاً ...) يفيد أن التولي لم يكن من بني إسرائيل كلهم؛ لأن (إلا) أداة استثناء «والمعنى استثنى قليلاً منكم» جاءت (منْكُم) صفة لقليلاً، قال السمين الحلبي[1]: «الظاهر أن القليل يراد بهم الأشخاص لوصفه بقوله تعالى: (منْكُم)»[2]، ولكن عند ابن عطية: يُجوز أن تكون (منْكُم) تحتمل معنى القلة في الإيمان ولم يبق لهم إلا قليلاً بعد ما عصوا الله[3] وفي هذا الاستثناء إنصاف لهم في توبيخهم ومذمتهم، وإعلان بفضل من حافظ على العهد[4]، وهو إحسان من الله إلى عباده المحسنين.

الآية الثانية:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[النساء:19]

قصر موصوف على صفة، فقد قصر العضل على وقت إتيان الفاحشة. هذا استثناء متصل، ولا حاجة إلى دعوى الانقطاع فيه[5].

قال ابن عاشور: «يحتمل أن يكون الاستثناء متصلاً استثناء من عموم أحوال الفعل الواقع في تعليل النهي ....أي إلا حال الإتيان بفاحشة فيجوز إذهابكم ببعض ما أتيتموهن ويحتمل أن يكون استثناء منقطعًا في معنى الاستدراك؛ أي: لكن إتيانهن بفاحشة يحل لكم أن تذهبوا ببعض ما أتيتموهن[6].

---

(1) هو: أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس شهاب الدين، المعروف بالسمين، مفسر، عالم بالعربية والقراآت، من كتبه: أحكام الكتاب العزيز، والدر المصون...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 274:1.

(2) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 472:1.

(3) ينظر: المحرر الوجيز 173:1.

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 4.584:1(

) البحر المحيط، أبي حيان 5.568:3(

) ينظر: التحرير والتنوير 6.285:4(

الاستثناء في هذه الآية قيل منفصل وقيل منقطع متصل من أعم العلل والأسباب: «هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للإفتداء إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة إلا أن يأتين بفاحشة»[1].

يصف لنا هنا حال الزوجة ومحافظتها على بيتها فلا يحق لرجل أن يعضلها إلا إذا جاءت بفاحشة، فإذا طلبت الطلاق فله أن يطلقها حتى تفتدي منه ببعض صداقها؛ لأنها تسببت في بعثرت حال بيت الزوج[2].

الآية الثالثة:

قال تعالى:[فبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[المائدة:13].

أمر الله بالعفو والصفح على الذين آمنوا، فلا تؤاخذهم بما فعل السفهاء من أسلافهم، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ؛ وذلك «تعليل للأمر بالصفح، والحث عليه، وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان، فضلاً عن العفو عن غيره»[3] .

في الآية قصر موصوف على صفة في قَوْلُهُ: [إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) أي: أن الخيانة كانت من عادتهم وعادة أسلافهم، إلا هؤلاء القليلون المستثنى منهم فإنهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا، قال الشوكاني: «اسْتِثْنَاءٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي مِنْهُمْ»[4]، قال الطنطاوي: القلة اليهودية التي أسلمت استثناها الله بقوله: [إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) قد أمنوا وعصموا دماءهم

) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار، البيضاوي 1.66:2(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 2.285:4(

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي119:2.

(4) فتح القدير26:2.

وأموالهم، ولم يصبح للعفو والصفح عنهم موضع[1]، وتعبيره بالأفعال المضارعة ﴿لا تزال- تطلع﴾ للحكاية واستحضار الصورة، وللدلالة على التجدد والاستمرار [2]

والتعبير بالفعل الماضي في قوله:[نسوا)لأن النسيان إذا مر لا يتجدد إلا بالتذكير.

وفي المجيء بالنفي والاستثناء؛ لبيان تأكيد الأمر في نفس قائله، فهذا التعبير يصف حالة المتولين وما بذر منهم من نقض الميثاق، وإنه لم يبقى منهم إلا القليل الذين لم ينقضوا الميثاق.

الآية الرابعة:

قال تعالى:[قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[الأنعام:151].

ففي قوله: (ولا تقتلوا النفس إلا بالحق) قصر صفة على موصوف، قصراً حقيقياً، فقد استثنى قتل النفس، وهي من ضمن الفواحش عامة، «تعظيماً لهذه الفاحشة واستهوالاً لوقوعها ولأنه لا يتأتى الاستثناء بقوله: إلا بالحق إلا من القتل، لا من عموم الفواحش»[3]، وتأكيداً لهذا التحريم جاء بالنفي والاستثناء بـ﴿إلا﴾ وهو طريق من طرق القصر، وذكر قتل النفس بعد ذكر الفواحش وهو من ذكر الخاص بعد العام، وفيه التفصيل يبن بشاعة هذا العمل وتهويله عند القيام به، قال السمين الحلبي: «ولو لم يذكر هذا الخاص لم يصح الاستثناء من عموم الفواحش، لو قيل في غير القرآن(لا تقربوا الفواحش إلا بالحق) لم يكن شيئاً»[4]

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط 84:4.

(2) ينظر: روح المعاني، الألوسي 262:3 .

(3) البحر المحيط، أبي حيان 688:4.

(4) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، الحلبي220:5.

وقد ذيل هذه الوصايا بقوله: [ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) وفي المجيء باسم الإشارة وتوالي ضمير الخطاب بعده تأكيد على هذه المحرمات التي نهى الله عباده على اقترافها، وختمت الآية بقوله: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)«لأنَّ العقل مَنَاطُ التكليف»[1].

الآية الخامسة:

قال تعالى: [ما كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين)[التوبة:120].

قال الرازي: «اعلم أنّ الله - تعالى- لما أمر بقوله: (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) بوجوب الكون في موافقة الرسول ρ في جميع الغزوات والمشاهد، أكد ذلك فنهى في هذه الآية عن التخلف عنه»[2].

وجاء القصر هنا بالنفي والاستثناء، حيث قصر العمل الصالح على الإصابة، وهو من قصر الموصوف على الصفة، قصراً حقيقياً، ذكر الجزاء الذي أعده الله لمن قدم نفسه حباً لله ورسوله، ولم يتخل عن الغزو، وزاد القصر من تمكين الحسرة في قلوب الذين كفروا وتخلفوا عن الرسولρ مما دل على ذلك تكرار الحرف (لا) في كل موضع لدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والإعتداد به[3].

وبداية الآية خبرٌ إلاَّ أن معناه أمر، يفيد الإلزام بمصاحبة الرسول ρ كما يأمرهم بألا يرضوا بأنفسهم بالخفض والدعة والرسول في المشقة[4]، وكان هذا الخطاب عام لم

) المصدر نفسه .1(

(2) مفاتيح الغيب 196:16.

) إرشاد العقل السليم، أبي السعود 111:4 .3(

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 290:8.

يقتصر على فئة معينة إلا الذين لهم عذر، عن أنس ابن مالك، أن رسول اللهρ، لما رجع من غزوة تبوك ، فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ»[1].

الآية السادسة:

قال تعالى: [وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً) [الاسراء:23].

حيث قصر الله العبادة عليه، والإحسان للوالدين قصر صفة على موصوف، إذا قصر الله صفة العبادة له وحده فلا تتعدى إلى غيره، وأمر بالاهتمام بالوالدين والإحسان إليهم، وربط بين الجملتين، فهما متفقتين في الإنشاء، مختلفتين في المعنى، فالأولى تنهى عن الشرك به، والثانية تأمر بالإحسان للوالدين وهذا الاقتران يبين أن محبة الوالدين والبر بهم تنال بذلك رضى الله .

وفي قوله: [إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما) إمّا هنا مركبة من إن الشرطية وما المزيدة لتأكيدها، واتصال الفعل بنون التوكيد الثقيلة، لإظهار شدة الاهتمام بالوالدين، وتقدم الظرف [عِنْدَكَ) على المفعول به [الْكِبَرَ) يفيد التشويق وأن المفعول به حاجة إلى الرعاية والاهتمام، والفاعل قوله:[أَحَدُهُما) وتأخيره هنا لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه[2].

الآية السابعة:

---

(1)اخرجه البخاري، كتاب: صحيح البخاري، رقم الحديث: 4423، 8:6.

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبي السعود 166:5.

قال تعالى:[وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً)[الإسراء:34].

قصر صفة على موصوف قوله تعالى: [إِلاَّ بالتي هِيَ أَحْسَنُ) استثناء مفرغ؛ أي: لا تَقْرَبُوه إلا بالخَصْلة الحسنى[1]، حيث نهاهم عن الاقتراب من مال اليتيم، ولكن لم يكن نهيًا شاملًا إنما قصر منه جزئية وهي تكون بالتي هي أحسن فيما يتعلق بحياته من مأكل وملبس وغيره من الأشياء المهمة بالنسبة لعيشه، وقد أكد هذا القصر باسم الموصول والضمير وأفعل التفضيل، واستعمال صيغة الجمع [وَلا تَقْرَبُوا) لأن الظاهرة اجتماعية خاصة بالمجتمع عامة، إذا اهتموا باليتيم ورعوه حق الرعاية؛ فإن له أثرًا ايجابياً في حياته يعود على مجتمعه.

الآية الثامنة:

قال تعالى: (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)[المؤمنون:6].

قصر موصوف على صفة، قد قصر صفة المحافظة إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم .

استثنى الوطر الذي أباحه الشرع في الزوجة والمملوكات وقوله تعالى: (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) وحسن دخول هذا الموضوع قوله غير ملومين، فكأنه قال إلا أنهم غير ملومين على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم[2].

وجملة (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) تعليل للاستثناء؛ أي: هم حافظون لفروجهم، فلا يستعملون شهواتهم إلا مع أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم غير مؤاخذين على ذلك؛ لأن مما أحله الله تعالى[1].

---

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي5:220.

) المحرر الوجيز، ابن عطية 5:2.395(

الاستثناء من عموم متعلقات الحفظ التي دل عليها حرف على؛ أي: حافظون على كل ما يحفظ عليه إلا المتعلق الذي هو أزواجهم وما ملكت أيمانهم[2] استثناء مفرغ[3].

وفي التعبير عن الإماء بـ(ما) الموصولة الغالب استعماله لغير العاقل، قال الزمخشري: «فإن قلت هلا قيل: من ملكت؟ قلت لأنه أريد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الإناث، جعل المستثنى حد أوجب الوقوف عنده، ثم قال: فمن أحدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه، وهو إباحة أربع من الحرائر، ومن الإماء ما شئت فأولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه[4].

ويصح أن يكون استثناء منقطعًا، ويكون المعنى وصفهم بأنهم يحافظون على فروجهم في كل الأحوال، وباستمرار، ولكن على أزواجهم وما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين، ولا يمنع ذلك من جواز أن يكون متصلاً[5].

الآية التاسعة:

قال تعالى: (فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الروم:38]

قصر صفة على موصوف، وفي تعريف المفلحون للدلالة على أنهم الناس الذين بلغك أنهم مفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد على حقيقة المفلحون وخصائصهم، وقد أفاد ضمير الفصل (هم) الاختصاص، فهو يؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه[6].

) التفسير الوسيط، الطنطاوي 1.13:10(

) التحرير والتنوير، ابن عاشور 2.13:18(

) روح المعاني، الألوسي 3.209:9(

) الكشاف 4.177:33(

) زهرة التفاسير، أبي زهرة 5.5047:10(

) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبي السعو 6.213:3(

وفي المجيء بأسلوب القصر هنا للترغيب، والحث على العطاء والإحسان، والتودد إلى الآخرين، لنيل محبة الله ورضاه، وقد أفاد هذا الأسلوب وعد كريم وتبشير عظيم لمن اتصف بهذه الصفات[1].

ذكر ابن عاشور في قوله تعالى: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) صيغة القصر آتى بها ضمير الفصل، وهو قصر أضافي؛ أي: أولئك المتفردون بالفلاح، في إيتاء المحتاجين من غير رياء ولا فخر[2].

وفي قوله: (وَجْهَ اللَّهِ) تمثيل كأن المعطى أعطى المال بمرأي من الله لأن الوجه هو محل النظر، وفي هذا القول مشاكلةٌ؛ فقد جيء بهذا القول مقابلة لما كان يفعله أهل الجاهلية من العطاء لأجل الرياء والفخر والوجاهة، فنجعل هنا العطاء لوجه الله[3].

وفي ذكر اسم الإشارة في قوله تعالى: (ذَلِكَ خَيْرٌ) للتنويه على العمل المأمور به وهو العطاء[4].

المبحث السادس

الالتفات في آيات الإحسان

) ينظر: البحر المحيط، أبي حيان3:1.291(

) ينظر: التحرير والتنوير21:2.104(

) ينظر: المصدر نفسه.3(

) المصدر نفسه.4(

الالتفات لغةً: هو مأخوذ من الفعل (لَفَتَ) «أي: لفَتَ وجْهَهُ عن القوم: َصرفهُ، والتَفَتَ التِفاتاً، والتلفّت أكثر منه، وتلفّت إلى الشيء والتفَتَ إليه، صَرف وجهه إليه»[1].

الالتفات اصطلاحًا: «هُوَ نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ آخَرَ تَطْرِيَةً وَاسْتِدْرَارًا لِلسَّامِعِ وَتَجْدِيدًا لِنَشَاطِهِ وَصالتتبيرِيَانَةً لِخَاطِرِهِ مِنَ الْمَلَالِ وَالضَّجَرِ بِدَوَامِ الْأُسْلُوبِ الْوَاحِدِ عَلَى سَمْعِهِ»[2].

إن من عادة العرب التفنن في الكلام والتصرف فيه، ذكر الزمخشري: إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تَطْرِيةً لنشاط السامع، وإيقاضًا للإصغاء إليه، من إجرائه على أسلوب واحد [3].

وقد أوضح ابن الأثير[4]: أن حقيقة الالتفات مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، كذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل أومن مستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك[5].

أقسام الالتفات:

) لسان العرب (لفت) 1.84:2(

) البرهان في علوم القرآن، الزركشي 2.314:3(

) الكشاف3.14:1(

([4]) هو: محمد بن نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانيّ الموصلي، شرف الدين ابن الأثير: فاضل، ابن ضياء الدين ابن الأثير، ولد بالموصل، من كتبه: المثل السائر...وغير ذلك، ينظر، الأعلام، الزركلي 125:7.

) ينظر: المثل السائر 5.135:2(

إن العرب يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك بتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله (ياء) على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله (كاف أو تاء) فيجعل نفسه مخاطب، وتارة يجعله (ها) فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب، وإنما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض[1].

ومن خلال النظر إلى حالة المتكلم وانتقاله من أسلوب إلى آخر جعل العلوي[2] الالتفات على ثلاثة أضرب[3].

اولاً: ما يرجع إلى (الغيبة، الخطاب، التكلم) مثال ذلك قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الفاتحة :1]ثم قال : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[الفاتحة :4].

ثانياً: مختص بالأفعال (الالتفات من الأفعال الخبرية إلى الأفعال الإنشائية) مثال على ذلك قوله تعالى: {إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)[هود :54]

ثالثاً: مختص بالأفعال، كالأول (الالتفات من الأفعال الخبرية إلى الأفعال الخبرية) مثال ذلك قوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ)[فاطر :9].

وعلى هذا سأقوم بتحليل بعض آيات الإحسان التي جاءت مشتملة على هذا الأسلوب، لما فيه من تنشيط السامع، وإثارة انتباهه وتشويقه للجزاء الذي أعده الله للمحسنين، وهي على النحو الآتي:

) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، 1.111.1(

(2) هو: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي، من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، يروي أن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره، ولد في صنعاء، من كتبه: الطراز المتضمن اسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، شرح الكافية...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 143:8.

) ينظر: الطراز 2: 72-3.74(

الآية الأولى:

قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ)[البقرة:83].

جاء بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله:(ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) قال الزمخشري: على طريق الالتفات؛ أي: توليتم عن الميثاق ورفضتوه[1]، وقال أبو السعود: «هذا الالتفات خطاب إلى بني إسرائيل جميعًا بتغليب أخلافهم على أسلافهم لجريان ذكرى كلهم حينئذ على نهج الغيبة»[2].

الآية في بديع نظمها تبتدئ بالغيبة وتنتهي بالخطاب في قوله: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) وفي هذا الخطاب تذكير بالميثاق الذي أخذه الله عليهم، ولا يأتي هذا التذكير إلا بالقول، ثم حكى ما ترتب عليه هذا الميثاق، فبدأ فيه بالخبر في قوله: (لاَ تَعْبُدُونَ) وختم بالإنشاء في قوله: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً) ثم إن الانتقال إلى الخطاب من قبل الحكاية أعطى فرصة للانتقال إلى أصل الكلام، وهو خطاب بني إسرائيل لمكان الاتصال في قوله: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ) فانتظم بذلك السياق[3].

وبذلك نرى هنا انتقال هذا الميثاق في مراحل زمنية مختلفة، مما يدل ذلك على براعة النظم في كتاب الله عز وجل، إذا افتتح الخطاب بزمن ماضٍ في قوله: (أَخَذْنَا) ثم الحاضر في قوله: (لاَ تَعْبُدُونَ) ثم مستقبل في قوله: (وَقُولُواْ- وَأَقِيمُواْ- وَآتُواْ).

الآية الثانية: قال عز وجل: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ

---

(1) ينظر الكشاف 159:1.

(2) إرشاد العقل السليم 123:1.

) ينظر: الميزان، الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط/1، 1417هـ 216:1-2173(

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[الأنعام :151].

بعد أن وصى الله بالإحسان إلى الوالدين نهى عن قتل الأولاد فإن الله هو رازقكم وإياهم، ليس عليكم رزقهم، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم[1].

وقد جعلوا الفقر عذراً لقتل الأولاد مع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعياً لقتل النفس، فقد بين الله أنه لما خلق الأولاد فقد ، قدر رزقهم فمن الحماقة أن يظن الأب أن عجزه عن رزقهم يخوله لقتلهم، وكان الأجدر أن يكتسب لهم، فعدل عن طريق الغيبة الذي جرى عليه الكلام في قوله: {مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ)إلى طريق التكلم بالضمير في قوله: {نَحْنُ) تذكيراً بالذي أمر بهذا القول كله، كأن الله أقحم كلامه بنفسه في أثناء كلام الرسول ρ الذي أمر به، تأكيد لتصديق رسولهρ[2] فلو كان في غير القرآن لسار على نهج واحد فقال:(الله يرزقكم) فالعدول إلى ضمير التكلم للتشريف؛ أي: أن الرزاق هو الله سبحانه وتعالى .

ذكر الألوسي: أن جملة {نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ) استئناف مسوق لتعليل النهي، وإبطال، سببه ما تخذوه سبباً لمباشرة المنهي عنه وضمان منه - تعالى- لإرزاقهم؛ أي: نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تقدموا على ما نهيتم عنه لذلك[3].

الآية الثالثة: قال تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنفال:41].

) ينظر: جامع البيان، الطبري 1.217:12(

) ينظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور 159:82(

) ينظر: روح المعاني : 297:43(

جاء في هذه الآية بالالتفات من التكلم في قوله: (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ) إلى الغيبة في قوله: (وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا) من بسط اللطف على الرسول ρ واصطفائه بالقرب مالا يخفى[1].

قال الألوسي: «وفي التعبير بقوله: (وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا) ما لا يخفى من التشريف والتعظيم»[2].

والظاهر أن المراد به في قوله: (وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا) تخصيص النبي ρ بالإنزال، ولو كان المراد به الملائكة المنزلون يوم بدر- كما قيل- لكان الأنسب أولاً: أن يقال: (وَمن أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا) أو ما يؤدي هذا المعنى، وثانياً: أن يقال:(عليكم لا على عبدنا) فإن الملائكة كما أنزلت لنصرة النبيρ أنزلت لنصرة المؤمنين معه كما يدل عليه قوله:(فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)[الأنفال :9][3].

وفي ختم الآية بقوله: (وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} التفات من الغيبة إلى الخطاب، لتأكيد؛ لأنه: «يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز»[4].

الآية الرابعة: قال تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد : 22].

أحسن الله إلى عباده الصابرين الطامعين في نيل رحمته وغفرانه، الذين يدفعون بالحسنة السيئة، فقد وعدهم الله بعقبى الدار، لهم فيها ما يشتهون، جزآءً لإحسانهم وصبرهم.

) ينظر: الميزان، الطباطبائي 1.91:10(

) ينظر: روح المعاني: 2.203:5(

) الميزان، الطباطبائي3.91:10(

) الكشاف، الزمخشري :223:2، ينظر: إرشاد العقل السليم، أبي السعود 4.23:4(

وقع الالتفات في قوله: {وَيَدْرَءُونَ) فقد انتقل من الأفعال الماضية (أقاموا- أنفقوا) إلى المضارع، فالتعبير عنهم بالأفعال الماضية وإنها ثابتة لهم، جاء بالفعل المضارع الذي دل على الاستمرار والدوام في مقابلة الإساءة بالحسنة، تشريفًا لهم، لذلك كرمهم الله عز وجل وجعل لهم حسن الخاتمة، لما قاموا به من أعمال صالحة وجاء ذلك في نهاية الآية بقوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ).

جاء بالالتفات من صيغة الغيبة في قوله (رَبِّهِمْ) إلى التكلم في قوله تعالى: (مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) فلو سار النظم القرآني على نسق واحد لقال: وأنفقوا مما رزقهم ربهم، ولكن عدل عن ذلك إلى ضمير التكلم في إسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم يتفقون الحلال المعلق الذي يتأهل أن يضاف إلى الله وهذا منه إيماء ورمز إلى أن الرزق الحلال من الله وأن الرزق الحرام من العبد[1]، وفي إضافة اسم (الرب) إلى ضمير الغيبة الموجه للصابرين تشريفًا وتنويهًا بشأنهم.

يؤكد الله عز وجل بأن الرزق لا يكون إلا منه عز وجل وما هم إلا وساطة له، وقد أكد ذلك في العديد من الآيات القرآنية، قال تعالى: (وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) [إبراهيم:31] وقال تعالى: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [البقرة:3] .

وفي إسناد الرزق إلى ضمير المتكلم بنون العظمة لما في الرزق من الامتنان والإحسان[2].

الآية الخامسة:

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)[لقمان:14]

---

(1) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط/3،(د:ت) 71:2 .

(2) البحر المحيط، أبوحيان 109:2

التفت من صيغة المتكلم في قوله: (وَوَصَّيْنَا) إلى صيغة الغيبة في قوله: (أَنِ اشْكُرْ لِي) وفي هذا الالتفات إظهار لعظمة المتكلم ليناسب هذا الشكر والتوحيد[1] فقد قرن الله شكره بشكر الوالدين، شكر الوالدين إلا إن شكر المولى يكون بالتعظيم والتكبير، وشكر الوالدين يكون بالإشفاق عليهم، والتودّد إليهم؛ لأنهم كانوا سبب وجودنا وتربيتنا[2].

وفي ختم الآية بقوله: (إِلَيَّ الْمَصِيرُ) «تعليل لوجود الامتثال؛ أي: إلي الرجوع لا إلى غيري فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر»،[3] جاء بالتحذير من مخالفة ما أوصى الله به، واختصاصه وحده بالعقاب والثواب، وكل شيء يرجع إليه سبحانه وتعالى [4].

الآية السادسة:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)[الطلاق :1].

جعل الله الإحسان في كل شيء، لبيان روعة الإسلام وجماله، وما جاء به من أوامر ونواهٍ، فهذه لآية كان إحساناً لزوجات؛ لأن الله أوصى بالرأفة بهن، حتى عند طلاقهن، يجب علينا أن نأخذهن بعين الرحمة والرأفة.

جاء أسلوب الالتفات في الآية من الإفراد، في قوله : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) إلى الجمع في قوله: (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ)وفي الخطاب المفرد إظهار لتقدمه واعتبار لترؤسه، وأنه

) ينظر: الميزان، الطباطبائي 221:11 .1(

) ينظر: روح البيان، أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، (د:ط) (د:ت) 78:7 .2(

) إرشاد العقل السليم، أبي السعود72:7. 3(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 4.160:21(

المتكلم عنهم والذي يصدرون عن رأيه، ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده في حكمهم كلهم وسادا مسد جميعهم واختيار ضمير الجمع للتعظيم[1].

والتفت من أفعال الأمر في قوله: (فَطَلِّقُوهُنَّ - وَأَحْصُوا - وَاتَّقُوا)إلى الأفعال المضارعة في قوله: (لَا تُخْرِجُوهُنَّ - وَلَا يَخْرُجْنَ)، ثم عدل إلى الأفعال المضارع لإظهار الاهتمام فلا يخرجن حتى تقضى عدتهن، وفي إضافة العدة إليهن لتأكيد النهي وبيان كمال استحقاقهن لسُكنَاهَا كأنها أملاكهن[2].

ثم التفت مرة أخرى، في نظم قرآني بارع، قال تعالى: {لَا تَدْرِي)خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبى كما تُوهّم فالمعنى ومن يتعد حدود الله، فقد أضر بنفسه، فإنك لا تدري أيها المتعدي عاقبة الأمر لعل الله يحدث في قلبك بعد ما وقع منك من التعدي أمر، فترجع إليه وتحسن لها[3].

) ينظر : روح المعاني، الألوسي 14:325 1(

) ينظر : إرشاد العقل السليم، ابي السعود 8:2.260(

) ينظر : المصدر نفسه 83:261(

المبحث السابع

الجملة الإنشائية في آيات الإحسان

الإنشاء لغةً: الإيجاد والأحداث[1] قال الزجاج[2]«أنشأ الله الخلق إذ خلقه وأبدأه، وكل من ابتدأ شيئًا فقد أنشأه»[3].

الإنشاء اصطلاحًا هو: إِخْرَاج مَا فِي الشَّيْء بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْل، وَهُوَ كَمَا يُطلق على الْكَلَام الَّذِي لَيْسَ لنسبته خَارج تطابقه أول، كَذَلِك يُطلق على فعل الْمُتَكَلّم، أَعنِي إِلْقَاء الْكَلَام الإنشائي كالإخبار[4].

وينقسم الإنشاء إلى:

الإنشاء طلبي: وهو ما يستدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، وأساليبه خمسة الاستفهام، الأمر، النهي، التمني، النداء[5].

الإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعى مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب وله أساليب مختلفة كصيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء، وصيغ العقود[6]، وهذا النوع من الإنشاء لم ينل عناية البلاغيين؛ لقلة الأغراض المتعلقة به.

لقد حظيت آيات الإحسان، بنصيب لا بأس به من الإنشاء الطلبي، بأساليبه الخمس، وقد خرجت هذه الأساليب إلى أغراض أخرى تتضح من سياق الكلام، وعلى هذا قمت بدراسة كل أسلوب على حده وهو كالآتي:

) الكليات، أبوالبقاء، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د:ط) (د:ت) 1.197:1(

(2) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، من كتبه: معاني القرآن، كتاب الأمالي...وغير ذلك، ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د:ط) (د:ت) 49:1.

) معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط/1، 1408هـ 3.293:2(

) الكليات، أبو البقاء 4.197:1(

) ينظر: المطول، التفتازاني 5.224(

) المصدر نفسه.6(

المطلب الأول:

الاستفهام في آيات الإحسان

الاستفهام هو: طلب حصول صورة الشيء في الذهن[1].

وقد يخرج الاستفهام إلى معان كثيرة، بتناسب كل معنى المقام الذي جاء فيه، ولا يمكننا الإحاطة بها، لتباينها بين الوضوح والخفاء، فتراها أحياناً تجري في النفس جريانًا خفيًا تحسها، ولا تستطيع وصفها .

قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) [النساء:125].

استفهام إنكاري مستعمل في النفي[2] كما في قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ) [فصلت:33] النفي هنا هو نفى الحسن، أي: لا أحد يؤمن بحق إلا من أسلم وجهه لله، ولكن التعبير بأحسن يفيد بأن هذا هو الحق، وهو الأمر الحسن في ذاته، الذى لا تستحسن العقول السليمة سواه[3].

وجاء التساؤل هنا على سبيل الاستطراد، والحث والتنويه، إذا كان يصح أن يكون أحد أحسن دينا ومنهجا ممن أسلم وجهه وأخلص له وحده، واتبع ملة إبراهيم المستقيمة الموحدة الذى اتخذه له خليلًا[4].

ففي هذا الاستفهام اعتراضًا بين العلة والمعلول حثًا على الترغيب في العمل الصالح وردعًا وزجرًا عن المعاصي على أبلغ الوجوه[1].

) الإيضاح، القزويني 1.55:3(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 2.288:24(

) ينظر زهرة التفاسير، ابي زهرة 3.1874:4(

) ينظر: التفسير الحديث، دروزه محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ 4.247:8(

وفي جملة (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) فائدتها تأكيد وجوب إتباع ملته[2] وفي ذكر إبراهيم هنا للتشريف[3].

قال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)[الرحمن:60].

استفهام مستعمل في النفي[4] أي: ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة، فهاتان الجنتان لأهل الإيمان وصالح الأعمال، كما في قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)[5][يونس:26].

جاء الاستفهام هنا لنفي أن يكون هناك مقابل لعمل الخير سوى الجزاء الحسن، فالمراد بالإحسان الأول: القول الطيب والفعل الحسن، والمراد بالإحسان الثاني: الجزاء الجميل الكريم على فعل الخير[6] وهو استئناف مقرر لمضمون ما قبله؛ أي: ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب، وقيل المراد ما جزاء التوحيد إلا الجنة[7].

مطلب الثاني:

الأمر في آيات الإحسان

الأمر هو: طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء[8].

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى معان بلاغية أخرى تفهم من سياق الكلام، ومن خلال آيات الإحسان نتعرف على تلك المعاني :

---

(1) ينظر: حاشية اليسوطي على تفسير البيضاوي، السيوطي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة واصول الدين، المملكة العربية السعودية، 1424هـ 208:3

) ينظر: الكشاف، الزمخشري 2.569:1(

) ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، تحقيق: محمد معوض و عادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1، 1418هـ 3.34:2(

) التحرير والتنوير، ابن عاشور4.271:27(

) التفسير المنير، الزحيلي 5.226:27(

) ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي 6.148:14(

) ينظر: روح المعاني، الألوسي 119:14 - 7.120(

) ينظر: المطول، التفتازاني 8.239(

التلطف والرجاء :

قال تعالى: [قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف:78]

جاء بالأمر في قوله: [فَخُذ} للرجاء والاستعطاف، استعطفوه بتذكيره بحق أبيهم وأنه شيخًا كبيرًا حزينًا على ابن له مفقود، وقد وصفوا أباهم بثلاث صفات تقتضى التدقيق عليه، وهي: حنان الأبوة، وصفة الشيخوخة، واستحقاقه جبر خاطره لأنه كبير قومه، وقد عرضوا عليه أن يأخذ أحدهم مكانه رهينة، واستعانوا في رجائهم بتذكرة بإحسانه قال تعالى: [إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} فأتمم إحسانك إلينا[1].

الإباحة:

قال تعالى: [فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) [البقرة 187].

أمر الله بالإحسان إلى الزوجة، والتلطف بها ومراعاته، لإنشاء مجتمع سعيد، متطور، ودعائمه الإسلام.

جاء الأمر في قوله :[الْآنَ بَاشِرُوهُنَّ} للإباحة[2]؛ أي: أباح لهم ما كانوا يختانون فيه أنفسهم[3] فقد أرشدهم الله سبحانه أن يطلبوا رضاه في مثل هذه اللذة، ولا يباشروهن

) ينظر: الكشاف، الزمخشري 493:2، ينظر التحرير والتنوير، ابن عاشور 1.36:13(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 2.183:2(

) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط/17، 1412هـ 3.175:1(

بحكم مجرد الشهوة، بل يبتغوا ما كتب الله لهم من الأجر والولد الذي يخرج من أصلابهم يعبد الله ولا يشرك به شيئاً[1].

وجاء الأمر لغرض الإباحة أيضاً في قوله: [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا} فقد أباح الله لهم المجامعة والأكل والشرب حتى يتبين لهم الصبح، فإذا تبين حرم عليهم المجامعة والأكل والشرب حتى يتموا الصيام إلى الليل[2].

الالتماس:

قال تعالى: [نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[يوسف:78].

كان سيدنا يوسف υ-من المحسنين إذ كان يعود مرضاهم، ويؤنس حزينهم، ويؤثر على نفسه، وكانت صفة الإحسان بارزة فيه مما جعلهم قالوا: [إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [3].

لقد توسم الفتيان في يوسف υ كمال العقل والفهم فظنا أنه يحسن تعبير الرؤيا لذلك قالا [إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)أي المحسنين التعبير، والفهم[4].

الإغراء:

قال تعالى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الروم:38].

أمر الله بالإحسان إلى الأقارب والمسكين، وابن السبيل، والتودد إليهم للفوز بنعيم الدارين وكتساب رضى الله عز وجل.

) ينظر: تفسير القران الكريم، ابن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/1، 1410هـ 1.147:1(

) ينظر: جامع البيان، الطبري 510:3- 2.511(

) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي 3.454:18(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 4.269:12(

قال الزمخشري: «وحق ذي القربى: صلة الرحم، وحق المسكين وابن السبيل: نصيبهما من الصدقة المسماة لهما»[1].

جاء الأمر في قوله: {فَآتِ) للترغيب فإن هذا الإيتاء أفضل من الإمساك، لمن يريد التقرب إلى الله، والامتثال لأمره[2].

التخير:

قال تعالى: {وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) [النساء:86].

أمر الإسلام بالتمسك بأدبه وشرائعه، وحث المسلمين على الإحسان في كل شيء، حتى في إلقاء التحية، لما لهذه الأعمال من فوائد حسنه تعود على الفرد والمجتمع، وتزرع الرغبة في الإقبال على الإسلام .

جاء الأمر في قوله: {وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) لتخيير[3]، إنما وقع هذا التخير بين الزيادة وتركها[4] المراد بقوله تعالى:(وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ) إذا كانت من مؤمن حيوا بأحسن منها، وإن كانت من كافر فردوا على ما قال رسول الله ρ أن يقال لهم : وعليكم[5].

) الكشاف 1.480:3(

) ينظر: فتح البيان في مقاصد القران، القنوجي، راجعه: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1412هـ 2.252:10(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور3.146:5(

) ينظر: الكشاف، الزمخشري 544:1، ينظر: إرشاد العقل السليم، أبي السعود 4.211:2(

) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية 5.87:2(

المطلب الثالث:

التمني في آيات الإحسان:

التمني هو: طلب حصول شيء على سبيل المحبة مع نفي الطماعية في ذلك [1]

قال تعالى :[أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}

الخطاب هنا موجه إلى جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك[2] ولفظ (فَأَكُونَ) جاء هنا بمعنى التمني[3]؛ أي: أيها المتمني قد جاءتك حجتي من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته عليك، وما فيه من الوعد والوعيد والتذكير فكذبت واستكبرت[4] وهي أمنية لا تنال، فإذا انتهت هذه الحياة فلا كره ولا رجوع، وهي فرصة إذ انقضت لا تعود[5].

فقد تمنى أن يعود إلى الحياة ليعمل أحسن ما كان يعمله في السابق، وهذا الترتيب في النظم هو أحكم ترتيب، ولو رتب الكلام على خلافه لفاتت الإشارة إلى تولد هذا المعاني في الخاطر حينما يأتيهم العذاب[6].

) الإيضاح، القزويني 1.52:3(

) مختصر الطبري، النيسابوري 2.464(

) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية 538:4، ينظر: فتح القدير، الشوكاني 3.541:4(

) ينظر: جامع البيان، الطبري 4.317:21(

) في ظلال القرآن، سيد قطب 5.3059:5(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 6.47:24(

المطلب الرابع:

النهي في آيات الإحسان:

النهي هو: طلب الكف عن الفعل استعلاء، وله حرف واحد وهو لا الجازمة في نحو: (لا تفعل)[1]، قال تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [البقرة:195]

وقد تخرج صيغة (لا تفعل) من دلالتها الأصلية، تفيد معاني أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال وهي كالآتي :

التهديد والوعيد:

قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[الأنعام:152].

نهى الله عن الاقتراب من أموال اليتامى وتبذيرها، واستعمالها في الطرق غير مشروعة، ومما يؤكد هذا النهى بالوعيد والتهديد ما جاء به في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)[النساء:10].

وقد جاء النهى عن القرب الذي يعم جميع وجوه التصرف[2] فلا تقربوا مال اليتيم إلا بالطريقة التي تكون فيه تنمية وتحصيل الربح به ورعاية وجوه الغبطة[3].

النصح والإرشاد:

---

(6) ينظر :المطول، التفتازاني 241.

) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطيه 362:2، وينظر البحر المحيط، أبي حيان 2.688:4(

) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي3.179:13(

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[لقمان:13].

ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله؛ لأن النفس المعرضه لتزكيه والكمال، يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادى الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل[1]، أي: يأمره وينهاه ترغيبا له في فعل الخير، وترهيبا له من فعل الشر[2].

وفي قوله تعالى: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) تعليل لهذا النهى وتهويل لأمره[3].

التهويل والتفظيع:

(وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ)[البقرة:232].

نهى الله في هذه الآية المؤمنين عن معاضلة النساء بعد الطلاق، والسماح لهن بالزواج بعد ذلك.

ففي قوله تعالى: (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) أي: لا تمنعوهن عن النكاح، والعضل: المنع، وأصله: الضيق والشدة[4]، وفي تهويل النهي عن العضل قال أبو السعود: «تهويل لأمر العضل وتحذير منه وإيذان بأن وقوع ذلك بين ظهرانهم وهم ساكتون عنه، بمنزلة صدوره عن الكل استتباع اللائمة وسرابة الغائلة[5].

) التحرير والتنوير، ابن عاشور 1.155:21(

) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري 2.204:4(

) التحرير والتنوير، ابن عاشور 3.155:21(

) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي 4.312:1(

) المحرر الوجيز، أبي السعود 5.229:1(

المطلب الخامس:

النداء في آيات الإحسان:

النداء هو: طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعوا لفظًا أو تقديرًا [1].

قال أبو مسعود: إذا ما سمعت الله عز وجل قال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)فأرعه سمعك فإن من بعده خيراً يأمر به، أو شراً ينهى عنه[2].

النصح والإرشاد :

قال تعالى: (وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:14]

فمن إحسان الآباء إلى أبناءهم توجيهم وإرشادهم إلى الطريق السوي، للفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة، وهذا ما كان يهدف إليه سيدنا لقمان υ.

وقد افتتح الموعظة بنداء المخاطب مع أن توجيه الخطاب مغنٍ عن ندائه لحضوره بالخطاب، وذلك للاهتمام بالغرض المسوق له الكلام[3].

وفي قوله: (يا بُنَيَّ) تصغير للإشفاق والمحبة[4] فقد قال له قول يعظه بالأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك[5] ففي قوله تعالى :

([1]) الإيضاح، القزويني 91:3.

(2) شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، محمود سعد، ط/1، 1422هـ 35:1.

([3]) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 154:21.

([4]) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي 283:10.

([5]) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي 648:1.

(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) خبر من الله منقطع عن كلام لقمان، متصل به في تأكيد المعنى[1].

التكريم :

قال تعالى: {يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} [مريم:37].

أحسن الله إلى سيدنا زكريا ﷺفاستجاب دعاءه بعد طول تضرع في المحراب، إذ وهبه ولد من صلبه بعد أن مسه الكبر، ليكون له عون في حياته.

ففي ابتداء الإجابة بالنداء باسمه إناء، وعناية وإظهار المحبة والاختصاص، وعقب هذا النداء بقوله: {إِنَّا نُبَشِّرُكَ}إضافة التبشير إلى ذاته العليا للتعظيم والتفخيم[2].

وفي استعمال النداء بـ(الياء) مع إنه قريب منه، ولكن هذا المقام جاء لتكريم واستعطافا بحالته، فقد كان يرجو الله بدعائه.

---

(1) البحر المحيط، أبي حيان 413:8.

(5) ينظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة 4613:9

الفصل الثالث

البنية التصويرية في آيات الإحسان

وفيه مباحث:

المبحث الأول:

الاستعارة في آيات الإحسان.

المبحث الثاني:

الكناية في آيات الإحسان.

مدخل:

التصور: هو حصول صورة الشيء في العقل[1]، البيان: إِظْهَارُ الْمَقْصُودِ بأَبلغ لفظٍ، وهو من الفَهْم وذكاءِ القلْب مَعَ اللَّسَن، وأَصلُه الكَشْفُ والظهورُ[2]، وقد عرف ابن رشيق البيان بقوله: «الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذى يدل ولا يستحق اسم البيان»[3].

وعلى هذا فإن علم البيان هو: «علم يعرف إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه»[4].

قال الجاحظ بإنّ البيان هو: «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[5].

) التعريفات، الجرجاني 1.59:1(

) لسان العرب، ابن منظور (بان) 2.69:13(

) العمدة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط/5، 1401هـ 3.254:1(

) المطول، التفتازاني ص: 4.300(

) البيان والتبيين 5.11:1(

والحق أن علم البيان لا يبحث في الدلالة العقلية من حيث وضوح الكلمة وعدمه؛ بل من حيث تلذذ النفس بها؛ لكونها متصرفة فيها، ولها مدخل منها، ألا ترى أن قولك: زيد بحر في العلوم، ليس مثل قولك: كثير العلوم، وإنه كثير الرماد، ليس كمثل: كثير الضيافة، في تلذذ النفس وقبول الطبع[1].

وقد ذكر عبد القاهر بأنه لا يوجد علم، أرسخ أصلا، وأبسق فرعا، وله تأثير على النفس، وما له من فوائد لا يدركها الإحصاء، ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء، من علم البيان[2].

وفي تعبير القرآن بالتصوير البياني، عن أغراضه ومقاصده، يعتبر مظهر من مظاهر إعجازه، وصورة من صور التحدي [3].

تتنوع طرق التعبير عن المعنى المراد في علم البيان بين تشبيه، واستعارة، وكناية، ولكل هذه الطرق دور يميزها عن غيرها، وعلى هذا قمت بحصر آيات الإحسان، التي كساها التصوير البياني، وابرز من جمالها، وجعلت كل طريقة منها على حدى، وهي على النحو الآتي:

كان حريًا بنا ونحن نتحدث عن التصوير البياني، في هذا الفصل أن نبدأ بالركن الأول من أركان علم البيان وهو: التشبيه، ولكن بتتبعي للآيات في مقام الإحسان، وجدت أنها لا تكفي لإقامة مبحث عليه، وها أنا ذا اتعرض لهذه الآيات بالذكر والتعليق:

الآية الأولى:

قال تعالى: [فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) [البقرة 187].

) ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، الجرجاني، تحقيق: عبدالقادر حسين، دار النهضة، مصر، الفجالة، القاهرة (د:ط) (د:ت) ص: 1.169(

) ينظر: دلائل الإعجاز 2.6:1(

) النظم القرآني في آيات الجهاد' ناصر بن عبدالرحمن، مكتبة التوبة، الرياض، ط/1، 1996م، ص:3.443(

جاء بالتشبيه في قوله تعالى: (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ) فقد شبه وقت النهار بالخيط الأبيض، وشبه وقت الليل بالخيط الأسود، ذكر الزمخشري: إن في الآية تشبيه، والذى أظهر هذا التشبيه وأابرزه قوله: (مِنَ الْفَجْرِ) حيث أاخرجه من باب الاستعارة إلى باب التشبيه؛ لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولو لم يذكر (مِنَ الْفَجْرِ) فكان الخيطان مستعاران، فزيد (مِنَ الْفَجْرِ) فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة[1].

الآية الثانية:

قال تعالى: [وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[فصلت:34].

جاء بالتشبيه في قوله تعالى: (كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) حيث شبه حالة العدو بعد الصفح عنه بالولي الحميم، قال ابن عاشور: تشبيه في زوال العداوة ومخالطة شوائب المحبة، فوجه الشبه هو المصافاة والمقاربة وهو معنى متفاوت الأحوال، أي مقول على جنسه بالتشكيك على اختلاف تأثر النفس بالإحسان وتفاوت قوة العداوة قبل الإحسان، ولا يبلغ مبلغ المشبه به إذ من النادر أن يصير العدو وليا حميما[2].

قال ابن عطية في قوله تعالى: (كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) دخول كاف التشبيه؛ لأن الذي عنده عداوة لا يعود وليًا حميمًا، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم. والحميم: هو القريب الذي يحتمّ للإنسان[3].

([1]) ينظر: الكشاف 231:1.
([2]) ينظر: التحرير والتنوير 293:24.
([3]) ينظر: المحرر الوجيز 16:5.

المبحث الأول

الاستعارة في آيات الإحسان

الاستعارة لغةً: قال ابن منظور: «اسْتَعار: طَلَبَ العارِيّة، واسْتَعارَه الشيءَ واسْتَعارَه مِنْهُ، طَلَبَ مِنْهُ أَن يُعِيرَه إِيّاه»[1].

اصطلاحًا :

قال عبد القاهر: الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه [2].

ذكر العلوي: بأن الاستعارة إنما يظهر حسنها إذا عريت عن أداة التشبيه، وكلما ازداد التشبيه خفاء ازدادت حسنا ورشاقة، وكانت متضمنة للبلاغة مع الإيجاز، وجودة النظم وحسن السياق، والقبيح ما جاء عكس ذلك[3].

فالاستعارة إذن ليست حركة في ألفاظ فارغة من معانيها، ولا تلاعبا بكلمات، إنما هي إحساس وجداني عميق ورؤية قلبية لهذه المشبهات التي تشكلت في الكلمات المستعارة[4].

) لسان العرب (عور) 1.618:4(

) دلائل الإعجاز 2.67:1(

) ينظر: الطراز 3.124:1(

) التصوير البياني، أبو موسى 4.219(

أركان الاستعارة ثلاثة: مستعار وهو لفظ المشبه به، ومستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه، ومستعار له وهو المعنى الجامع[1].

أقسام الاستعارة:

الاستعارة التصريحية، الاستعارة المكنية.

الآية الأولى:

قال تعالى:(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[البقرة:245].

استعارة تصريحية تبعية[2]، شبه عطاء المؤمن في الدنيا ما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبه إعطاء النفوس والأموال في أخذ الجنة بالبيع والشراء[3]، إن المرء الذى يقرض الناس طمعًا في الثواب والجزاء؛ كأنه أقرض الله- تعالى- لأن القرض من الإحسان الذى أمر به[4].

وفي قوله: (فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً) مع إن القرض مع الناس يؤدى بمثله؛ فإنه تعالى بين لعباده، أن القرض معه يؤدى أضعاف المضاعفة[5].

وبعد ذكر الجزاء من الإقراض؛ بأنه يضاعف مضاعفة كثيرة، قال: (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) جاء بالطباق بين قوله: (يَقْبِضُ) و(وَيَبْسُطُ) لما فيه من وعد ووعيد، فقد وعد بالتوسعة على المنفق في سبيل الله، ووعيد بالتقتير على البخيل، ثم ختم

) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي 1.150:3(

) ينظر: إعراب القران وبيانه، محيي الدين درويش 2.363:1(

) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية 329:1، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي 3.240:2(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 4.482:2(

) ينظر: التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء، الهيئة العامة لشؤون الأسمرية، ط/1، 1393هـ 5.416:1(

الآية بقوله: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تنبيه وتذكيرًا بأن ما أعده لهم من الجزاء في الآخرة، أعظم بكثير مما أعطاه لهم في الدنيا[1].

الآية الثانية:

قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[آل عمران:134].

جاء في قوله: {وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ) أصل الكظم شدّ رأس القربة عند امتلائها، ويقال: فلان كظيم؛ أي: ممتلئ حزنا، والغيظ: هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر[2]، والقصد به في هذه الجملة، أن يمسك المرء ما في صدره، من غيظ ويصبر عليه ولا يظهر أثره[3]، فقد شبه الله المؤمن المنفق في سبيله، الصور عند الغضب بالقربة المحكمة الإغلاق، قال ابن عاشور: «لاشك أن أقوى القوى تأثيرا على النفس القوة الغاضبة، فتشهى إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها، مع الامتلاء منها، دل ذلك على عزيمة راسخة في النفس، وإلى جانب صفة كظم الغيظ، جاء بصفة العفو عمن أساء إليهم، وهذا يدل على أن كظم الغيظ وصف متأصل فيهم[4].

الآية الثالثة:

قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً)[النساء:125].

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 1.483:2(

) روح المعاني، الألوسي 2.272:2(

) التفسير الحديث، دروزة محمد عزت 3.230:7(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 4.91:4(

في قوله: (أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أي: أخلص نفسه لله، وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربًا معبودًا سواه، وقوله: (وَهُوَ مُحْسِنٌ) أي: وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفًا حال المتبع[1].

الإسلام مبنى على اعتقاد وعمل، أما الاعتقاد فإليه الإشارة بقوله: (أَسْلَمَ وَجْهَهُ) وذلك لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع، والوجه أحسن أعضاء الإنسان، فالإنسان إذا عرفه بقلبه ربه وأقر بربوبيته وعبوديته نفسه فقد اسلم وجهه لله، أما العمل فأشار إليه بقوله: (وَهُوَ مُحْسِنٌ)[2].

استعار الوجه للتعبير عن الذات؛ ولأن أوضح أجزاء الجسم أسلم وجهه معناه أسلم ذاته، فالوجه يعبر عنه بالذات؛ لأن به المواجهة؛ ولأنه أوضح أجزاء الجسم، وإن هذا الدين لا يستقيم لمجرد النية، بل لابد أن يقترب مع ذلك إحسان العمل وإتقانه، فلا عمل يكون صالحاً من غير إيمان[3].

وفي قوله: (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً) تذييل جيء به للترغيب، بإتباع ملته ﷺ[4]، قال البيضاوي[5]: «اصطفاه وخصصه بكرامة، تشبه كرامة الخليل عند خليله، وقد أعاد ذكره ولم يضمر تفخيمًا لشأنه، وتنصيصاً على أنه الممدوح»[6].

الآية الرابعة:

) الكشاف، الزمخشري 1:568 - 1.569(

) مفاتيح الغيب، الرازي 2.229:11(

) ينظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة 3.1874:4(

) روح المعاني، الألوسي 4.148:3(

([5]) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاض، ومفسر، وعلامة، من كتبه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، وطوالع الأنوار...وغير ذلك، ينظر: الأعلام، الزركلي 174:6، وينظر: بغية الوعاة، السيوطي 50:2.

) أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2:99. 6(

قال تعالى: (فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }[المائدة:13].

قال الزمخشري في تفسيره فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين[1].

وفي التعبير بالمضارع للحكاية واستحضار الصورة، ولدلالة على التجدد والاستمرار.

شبه العهد بالحبل فحذف المشبه به ورمز له بشي من لوازمه وهو الميثاق، على سبيل الاستعارة المكنية، ذكر الزمخشري: إن من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من لوازمه، فينتبهوا بتلك الرمزة على مكانه[2].

وفي إضافة الضمير (هم) لتقليل من شأنهم، وإبراز بشاعة ما اقترفوه من نقض العهد.

وجيء بالاستعارة مرة أخرى في قوله: (قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً) على سبيل الاستعارة المكنية، قال ابن عاشور: «وجعلنا قلوبهم قاسية قساوة القلب مجاز، إذ أصلها الصلابة والشدة، فاستعيرت؛ لعدم تأثر القلوب بالمواعظ والنذر»[3]، فقد شبهت قلوبهم بالحجارة من شدة قساوتهما، فحذف المشبه به وهو الحجارة ورمز له بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

) الكشاف 1:119.[1](

([2]) ينظر: الكشاف 1:119 – 120.

([3]) التحرير والتنوير 6:143.

وقد ذكر ابن عاشور: أن الآية جمعت على ثلاثة أصول وهي: التعمد في نقض العهد، والغرور بسوء التأويل، والنسيان الناشئ عن قلة تعهد الدين وقلة الاهتمام به[1].

الآية الخامسة:

قال تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[البقرة:178].

جاء بالاستعارة في قوله تعالى: (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ) بجامع شدة الاتصال، حينئذ وهي استعارة أحياها القرآن، استعارة أصلية[2]، الظاهر من اللباس معناه المعروف، وهو ما يشربه الإنسان بدنه، والجملتان من قبيل الاستعارة فإن كلا من الزوجين يمنع صاحبه عن اتباع الفخور وإشاعته حين أفراد النوع فكان كل منهما لصاحبه لباس يواري به سوأته ويستر عورته[3].

وفي قوله: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) استعارة فقد استعيرت كلمة (حدود) للشرائع بجامع معنى الفصل، فشرائع الله فاصله بين الحق والباطل وبين الكفر والإيمان[4]، والحد: الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر[5]، وشبهت الأحكام بالحدود أن تجاوزها يخرج من حل إلى منع[6].

الآية السادسة:

([1]) ينظر: المصدر السابق 144:6.

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 2.182:2(

) الميزان، الطباطبائي 3.44:2(

) ينظر: زهرة التفاسير، أبي زهرة 4.780:2(

) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (حد) 5.221:1(

) التحرير والتنوير، ابن عاشور 6.186:2(

قال تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[الإسراء:24].

استعارة مكنية؛ لأن إثبات الجناح للذل يخيل للسامع أن تمة جناح يخفض والمراد ألنْ جناحك، وتواضع لهما تواضعًا يلصقك بالتراب، والجامع بين هذه الاستعارة والحقيقة أن الجناح الحقيقي في أحد جانبي الطائر وأن الطائر إذا خفض جناحه وهو الذى به يتقوى وينهض، انحط إلى الأرض وأسف إلى الحضيض ولصق بالتراب، فالاستعارة مكنية إذ شبهت إلانة الجانب يخفض الجناح بجامع العطف والرقة وهذه أجمل استعارة وأحسنها وكلام العرب جاء عليها[1].

إن الحكمة من هذه الاستعارة في هذه الآية جعل ما ليس مرئي مرئيًا لأجل البيان، ولما كان خفض جانب الولد لوالديه من الذل والعطف ولتودد، احتيج في ما هو أبلغ للاستعارة، فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجانب، والمراد من خفض الجانب لصق بالأرض، ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح كالطائر[2] وفي قوله تعالى: تذكيرًا للإنسان بحال ضعفه وعجزه، في طفولته، وكيف اهتم والديه به في صغره[3].

وعبر عن التواضع بتصويره لهيئة الطائر عندما يعتريه الخوف من طائر أشد منه إذ يخفض جناحه متذللا، ففي هذا التركيب استعارة مكنية تخيلية[4].

الآية السابعة:

قال تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)[لقمان:19].

---

[1]) إعراب القران وبيانه، محمد محي الدين 5:413.(

[2]) ينظر: الموسوعة القرآنية، الأبياري، مؤسسة سجل العرب،(د:ط) 1405هـ 2:214.(

[3]) ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي 8:327.(

[4]) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 15:70.(

الاستعارة في قوله: (أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِير) استعارة تصريحية، حيث أخلى الكلام من لفظ التشبيه وأخرج مخرج الاستعارة، فجعلوا حميرًا وجعل صوتهم نهاقًا مبالغة في الذم والتهجين وإفراط في النهي عن رفع الصوت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة الموجعة وكذلك نهاقه[1]، فنهيق الحمار ليس منكرًا من الحمار، إنما المنكر أن تشبه صوت الإنسان صوت الحمار، فكأن نهيق الحمار كمال فيه، وصوتك الذى يشبه صوت الحمار نكر مذموم فيك[2].

إنما جمع (الحمير) في نظم القرآن مع أن صوت مفردا ولم يقل الحمار؛ لأن المعرف بـ(ال) الجنس يستوي مفرده وجمعه[3].

) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش 1.549:7(

) تفسير الشعراوي، الشعراوي 2.11677:19(

) التحرير والتنوير، ابن عاشور3.168:21(

المبحث الثاني

الكناية في آيات الإحسان

الكِنَايَة: أَن تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدَ غَيْرَهُ. وكَنَى عَنِ الأَمر بِغَيْرِهِ يَكْنِي كِنَايَةً: يَعْنِي إِذا تَكَلَّمَ بِغَيْرِهِ مِمَّا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ نَحْوَ الرَّفَثِ وَالْغَائِطِ وَنَحْوِهِ[1].

الكناية: مأخوذة من الستر، يقال، كنيت الشيء، إذا سترته، وإنما أجرى هذا الاسم على هذا النوع من الكلام، لأنه يستر معنى ويظهر غيره[2].

إن الكناية أبلغ من التصريح، أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وآكد وأشد. فليست المزية في قولهم: (جم الرماد)، أنه

) لسان العرب (كني) 1.233:15(

) ينظر: الطراز، العلوي 2.186:1(

دل على قرى أكثر، بل المعنى إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجابا هو أشد، وادعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق[1].

هي من أبلغ أنواع الكلام وأرفعه شأناً وأذقهُ فكرة، لا يدرك مراميها إلا كل فطن فهم لما تحويه من دقة الإشارة وبعد الاستعارة [2].

قد وردت العديد من آيات القرآن الكريم التي تتظافر بالأسلوب الكنائي، التي ما كانت تظهر وتبرز لو جاء الأسلوب على حقيقته، وكان لهذا الأسلوب أثر في آيات الإحسان، ومن هنا سأقوم بذكر بعض النماذج للنظر في بلاغة هذا الأسلوب وأسراره البيانية وهى على النحو الآتي:

الآية الأولى:

قال تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[البقرة:187].

الرفث: كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه[3] وجيء به هنا كناية عن الجماع (الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ) ويتعدى بـ (إلى) لتضمنه معنى الإفضاء[4].

) دلائل الإعجاز، عبد القاهر 1.71:1(

) اللباب في قواعد اللغة، محمد على السراج، دار الفكر، دمشق، ط/1، 1403هـ 2.176:1(

([3]) ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي 427:1.

([4]) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي 126:1.

وكني أيضًا على الجماع بالمباشرة، والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله تعالى: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ) فقال (فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ) وقيل معناه ولا تلمسوهن بشهوة، والجماع يفيد الاعتكاف، والاعتكاف أن يُجلِس نفسه في المسجد يتعبد فيه[1].

وفي اضمار الفاعل هنا لدلالة المعنى عليه، إذ معلوم للمؤمنين إن الذى يحل ويحرم هو الله[2].

وفي ذكر الاختيان هنا تعبيرا عما وقعوا فيه من المعصية بالجماع، وبالأكل بعد النوم، وكان ذلك خيانة لأنفسهم، لأن وبال المعصية عائد على أنفسهم، فكأنه قال تظلمون أنفسكم وتنقضون حقها من الخير، وقيل معناه تستأثرون أنفسكم فيما نهيتم عنه، وقيل معناه: تتعهدون أنفسكم بإتيان نسائكم[3] ولهذا كنى عن الظلم (بـالاختيان) فهو جاء معبر عما وقعوا فيه من المعصية بالجماع.

والرفث مقدمات المباشرة، أو المباشرة ذاتها، وكلاهما مقصود هنا ومباح... ولكن القرآن لا يمر على هذا المعنى دون لمسة حانية رفافة، تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقًا ونداوة، وتنأى بها عن غلظ المعنى الحيواني وعرامته[4].

الآية الثانية:

قال تعالى (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[البقرة:223].

قد دلت هذه الآية على النظم القرآني في الربط بين الآيات واتصالها ببعضها، قد نصت الآية التي قبلها بقوله تعالى: (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) يعني أن أتي الذي

---

(1) ينظر: الكشاف، الزمخشري 232:1.

(2) ينظر: البحر المحيط، أبي حيان 211:2.

(3) المصدر نفسه 213:2.

(4) في ظلال القرآن، سيد قطب 174:1.

أمركم الله به هو مكان الحرث إزالةً لشبه، وبيان أن الغرض في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة[1] .

نرى في هذا التعبير ما يبرز لنا براعة استعمال الألفاظ في الذكر الحكيم، فقد كنيه هنا على الجماع وتعدد النسل بالحرث، «إن لفظ الحرث دال على معناه بالحقيقة، لكنه استعمل في مجازه هاهنا وهو الجماع في المأتي المخصوص الصالح للزرع، فلما كان دال على حقيقته ومجازه لا جرم كان كناية»[2].

فالنساء هنا كالأرض التي تخرج الزرع، شبهت بالمحارث تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور، وقوله: (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) تمثيل، أي: فأتوهن كما تأتونَ أرضيكم التي تُريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم، لا تحظر عليكم جهة دون جهة، وهي من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة[3].

وفي هذا التعبير ألوان من التناسق الظاهر والمضمر، فالأرحام هنا كالأرض، وقد ربط بين المزارع والزوجة، فكما يهتم المزارع بالأرض لينتج أفضل البذور كذلك الزوجة وما تنتجه من النسل؛ ليزدهر المجتمع ويتكاثر، فكلاهما بنيان وإنتاج وصلاح عبر عنه لفظ الحرث[4].

وجاء بصيغة الأمر في الأفعال (فَأْتُوا – قَدِّمُوا- اعْلَمُوا) لإفادة الإرشاد العام بعد ذكر الإرشاد الخاص في قوله تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) [5].

ذكر الرازي: اعلم أنه تعالى ذكر الأمور الثلاثة قدموا لأنفسكم والمراد منه فعل الطاعات، وقوله اتقوا الله والمراد منه تجنب المحظورات، وقوله واعلموا أنكم ملاقوه

) ينظر: الكشاف، الزمخشري1.266:1(

) الطراز، العلوي 2.189:1(

) ينظر: الكشاف، الزمخشري3.266:1(

) ينظر: التصور الفني، سيد قطب، دار الشروق، ط/17، 4.91:1(

) ينظر: روح المعاني، الألوسي 5.519:1(

المراد أنه إنما كلفتكم بفعل الطاعات وتجنب المحظورات؛ لأجل يوم البعث فقد رتبت هذه الأمور أحسن ترتيب، في نسقٍ بياني[1].

وعقب بعد هذا الترتيب بقوله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) رعاية الترتيب في النظم القرآني إذ يجعل مع كل وعيداً وعد؛ أي: بشر المؤمنين بالتواب والجزاء الحسن عند ملاقاة ربهم[2].

وفي هذا التعقيب إشارة إلى أن الامتثال للأحكام المتقدمة من كمال الإيمان[3] قال ابن عاشور: في قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ) جُمع فيها بين الترغيب والتحذير؛ أي: فلاقوه بما يرضى به عنكم، ومما يدل على هذا التحذير مجئ الجملة مؤكدة بأن واسمية الجملة مع إن المسلمين يعلمون بأنهم ملاقوا ربهم إلا إنه أنزلهم منزلة العدم؛ ليزدادوا من تعليمهم اهتماماً بهذا المعلوم[4].

الآية الثالثة:

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يتَبوَّأُ مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)[يوسف:56].

جاء بالابتداء باسم الإشارة في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ) لتأكيد الطلب في الآية التي قبلها قال تعالى: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) فكأن هنا الآية جاءت جواباً عن هذا الطلب، يدل عليه محذوف تقديره اجعلني على خزائن الأرض، قال: قد فعلت، فأكد هذا الجواب بقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ) [5].

قال: الرازي في مسألة التمكين: أجمع المفسرون على أن في الكلام محذوف وتقديره: قد فعلت إلا أن تمكين الله له في الأرض يدل على أن الملك قد أجابه إلى ما

) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي 1.424:6(

) ينظر: المصدر نفسه. 2(

) التحرير والتنوير، ابن عاشور 375:2. 3(

) ينظر: المصدر نفسه.4(

) ينظر: زاد المسير، الجوزي 5.451:2(

سأل، وقال: بأن ما قالوه حسن، إلا أن هناك ما هو أحسن منه وهو إن إجابة الملك في عالم الظاهر أما المؤثر الحقيقي فليس إلا أنه تعالى مكنه في الأرض، فالتمكين ليوسف ليس إلا من خلق الله في قلب ذلك الملك بمجموع القدرة والداعية الجازمة، فلهذا السبب ترك الله ذكر اجابة الملك واقتصر على ذكر التمكين الإلهي[1].

جاء بالكناية بقوله: (يتَبوَّأُ مِنهَا) وهي كناية عن التصرف في جميع مملكة مصر[2] بيَّن في هذه الآية حالة يوسف وكيف انتقل من حالة الرق والتحكم في مشاعره إلى حالة الحكم، فقد أصبح حاكم مصر، أخصب المناطق في عصره وفي قوله تعالى: (مَكَّنَّا) توضح أن مكانه ليوسف هذه الأدوار هو من عند الله عز وجل[3].

وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الأرض مسند إلى ضميره عز وجل سلطانه من تشريفه υ والمبالغة في كمال ولايته[4].

اختلف في فاعل (يَشَاءُ) إما أن يكون ضمير يعود على يوسف، ومشيئته محذوقة بمشيئة الله، إذ هو نبيه ورسوله، وإما أن يكون الضمير عائد على الله أي: حيث يشاء الله فيكون التفاتا[5].

وفي قوله تعالى: (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ) قال ابن عاشور: تذييل لمناسبة ما أصاب يوسف υ من الرحمة في أحوال الدنيا، وما كان له من مواقف الإحسان وعلو المنزلة[6] وهو بيان لكمال قدرته ونفاذ إرادته سبحانه، أي: نصيب برحمتنا وفضلنا وعطائنا من نشاء، عطاؤه من عبادنا بمقتضى حكمتنا ومشيئتنا[7].

) ينظر: مفاتيح الغيب، 1.474:18(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور2.10:13(

) ينظر: زهرة التفاسير، ابي زهرة 3.3835:7(

) إرشاد العقل السليم، أبي السعود4.287:4(

) البحر المحيط، أبي حيان 292:6. 5(

) ينظر: التحرير والتنوير، 6.11:13(

) تفسير الوسيط، الطنطاوي7:381- 7.382(

وفي قوله تعالى: (وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) ترغيباً أي: نجزي الذين يتصفون بالإحسان، وهذا جزاءً دنيوي مداره التوفيق في القول والعمل وفي الآخرة خيراً منه ولذلك قال تعالى: (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [يوسف:57].

الآية الرابعة:

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[العنكبوت:8].

افتتح الآية بالفعل الماض [وَوَصَّيْنَا) للدلالة على الثبوت والدوام، أي: إن إحسانكم إلى الوالدين أمر ثابت، ولأهميته جاء الفعل مقترن بنون العظمة، لتكون الوصية شيء ثابت لا مرد فيه.

وقد عبر عن إصرارهم وشدة الإلحاح، في طلب عبادة إلها أخر بالمجاهدة عن طريق الكناية قال تعالى:(وَإِنْ جاهَداكَ)«أَيْ: طلبا منك، وَأَلْزَمَاكَ إن تشرك بي إِلَهًا ليس لك به علم بكونه إِلَهًا فلا تطعهما، فأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وعبر بنفي العلم عن نفي الْإِلَهِ لأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه»[1].

ومن الكناية أيضًا ما ورد في قوله تعالى: (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فقد عبر عن الاخبار بالأعمال التي يقوموا به بالأنباء، الإنباء: الإخبار، وهو مستعمل كناية عن علم تعالى بما يعملونه جهرا وسرا، وفي ذلك كناية عن الجزاء عليه من خير أو شر، ففي قوله: (فَأُنَبِّئُكُمْ) كنايتان: إيماء وتلويح، أي: فأجازيكم ثوابا على عصيانهما فيما يأمران، وأجازيهما عذابا على إشراكهما[2].

قال الزمخشري: في قوله تعالى: (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)إلي مرجع من آمن منكم ومن أشرك، فأجازيكم على أعمالكم، فلا تكن عاق بوالديك، ولا

) فتح القدير، الشوكاني 1.223:4(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 2..215:20(

تحرمهم من معروفك وبرَّك في الدنيا، وقد حذر من متابعتهما على الترك والحث على الثبات والاستقامة في الدين وذلك بذكر المرجع والوعيد[1].

الآية الخامسة:

قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[الزمر:10].

جاء بالكناية في قوله: (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) كون أرض الله واسعة فهو أمر معلوم إنما كني به عن لازم معناه، ففي هذه الكناية ما يدل على النظم القرآني الذي تروق له النفس، فالتعبير بقوله: (وَأَرْضُ اللَّهِ) دون صريح الأمر، لإدخال الأنس في القلوب، لما في مفارقة الأوطان من غم وحزب شديد، فالكناية هنا جاءت للاستعطاف والتودد، لما أعده الله للمحسنين من أجر، ونرى نظير هذه الآية في سورة النساء قال تعالى: (قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا)[الآية:97][2].

قال ابن عاشور: الصبر سكون النفس عند حلول الآلام والمصائب بأن لا تضجر ولا تضطرب لذلك، وصيغة العموم في قوله تعالى: (الصَّابِرُونَ) تشمل كل من صبر على المشقة في القيام بواجبات الدين، وإتباع المأمورات واجتناب المحظورات، فيقدر تفاوت الصبر بتفاوت الأجد .

وجيء بكناية في قوله تعالى: (بِغَيْرِ حِسَابٍ) كناية عن الوفرة والتعظيم، لأن الشيء الكثير لا يتصدى لعدة، والشيء العظيم لا يحاط بمقداره، فإن الإحاطة بالمقدار ضرب من الحساب وذلك شأن ثواب الأخرة الذي لا يخطر على قلب بشر، وفي إضافة

) ينظر: الكشاف 3:442..1(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 23:355.2(

الأجر إلى ضميرهم تأسيس لهم بأنهم استحقوا ذلك لا منة عليهم فيه، وإن كانت المنة لله على كل حال[1].

وفي قوله: (بِغَيْرِ حِسَابٍ) معناه بغير نهاية؛ لأن كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه، فما لا نهاية له كان خارجاً عن الحساب[2] وفي الإشارة بقوله: (هَذِهِ الدُّنْيَا) لتمييز المشار إليه أكمل تمييز وإحضاره في الأذهان[3].

الترغيب في قوله: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ) أي: يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تُقْرض بالمقاريض لما به أهل البلاء من فضل[4].

الآية السادسة:

قال تعالى: (آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ)[الذاريات:16].

كنى عن القبول هنا بالأخذ؛ أي: أنهم قابلون ما أعطاهم الله، فاستعمل الأخذ في صريحة وكنايته كناية رمزية عن كون ما يؤتونه أكمل في حبسه؛ لأن مدارك الجماعات تختلف في الاستجادة حتى تبلغ نهاية الجودة، فيستوي الناس في استجادته وهي كناية تلويحية، فالأخذ مستعمل في حقيقته ومجازه؛ لأنهم ما يؤتيهم الله بعضهم من يتناوله باليد كالأكل والشرب، وبعضهم من لا يتناوله باليد كالمناظر والرضوان وغير ذلك، فاجتمع في لفظ (آخِذِينَ)كنايتان ومجاز[5].

وفي إضافة لفظ (رب) إلى ضمير المتقين (هم) لإفادة الاختصاص وتكريم المتقين، والإيماء بأن ما أتاهم هو إخلاصهم في الربوبية[6].

---

(1) التحرير والتنوير:23: 355.

) مفاتيح الغيب، الرازي 2.431:26(

) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور3.354:23(

) ينظر: الكشاف، الزمخشري 118:4، ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: 4.431:26(

(5) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 347:26.

(6) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور 348:26.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله الأمين،

وبعد فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وهي:

- إن الإحسان من أعلى مراتب الإيمان، ويتضح ذلك من المكانة الرفيعة التي اعدها الله للمحسنين، حيث استحقوا محبته وفضله.
- إن اولى الناس بالإحسان هم الوالدين، لذلك نجدهم في اغلب الآيات القرآنية مقترن الإحسان إليهم بعبادة الله مباشرة.
- إن لكل آية من آيات القرآن الكريم ميزات في تراكيبها ونظمها تختلف في مضامينها مهما كان بينهما من تشابه.
- إن نظرية النظم تنظر إلى جانب اللفظ والمعنى معانا، من حيث ترتيب المعاني في النفس، وترتيب الألفاظ في النطق.
- ورد التمني في آية واحدة من آيات الإحسان.
- تنوع التوكيد في آيات الإحسان جاء مرة بإن، وقد، وضمير الفصل، والتكرار.
- إن القرآن الكريم معجزا في نظمه وأسلوبه، فكانت قضية (النّظم) وليدت هذا الكتاب الكريم، إلى أن تطورت واصبحت فكرة متكاملة، ألفت حولها العديد من الكتب.
- تنوع أسلوب التعريف في آيات الإحسان، فجاء باسم الإشارة، والاسم الموصول، و(أل) التعريف، وحمل هذا التنوع على عدة أغراض منها الاختصاص، والتعظيم، والتهويل...وغير ذلك.
- جاء أسلوب التوكيد في آيات الإحسان مختلفا بحسب أحوال المخاطبين.
- أفاد التقديم والتأخير دلالات بلاغية كالتشويق في حالة التأخير، والاختصاص للأمر المقدم.
- كان للأساليب الإنشائية دور في آيات الإحسان، فقد خرجت هذه الأساليب إلى أغراض اخرى كالنصح والإرشاد، والتهديد، والنفي، والدعاء، والترغيب...وغير ذلك.

ت	السورة	الآية	رقم الآية
1	البقرة	(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا...)	58
		(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...)	83
		(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)	112
		(أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...)	187
		(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)	195
		(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ...)	222
		(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)	223
		(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)	245
2	النساء	(وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)	2
		(وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا...)	6
		(وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)	8
		(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)	10
		(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...)	19
		(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...)	36
		(وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا)	86
		(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)	125
		(وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا...)	128
3	المائدة	(لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...)	93
4	الأنعام	(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...)	151
		(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ	152

		وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ...)	
5	الأعراف	(وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ...)	161
6	الأنفال	(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...)	41
7	يونس	(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)	26
8	النحل	(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...)	90
9	الإسراء	(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)	23
		(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)	24
		(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا)	26
		(وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)	34
10	الكهف	(فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)	81
		(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا)	82
11	مريم	(وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا)	14
		(وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا)	32
12	المؤمنون	(إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ)	6
13	العنكبوت	(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)	8
14	الروم	(فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ...)	38
15	لقمان	(هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ)	3
		(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)	14
		وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)	15
16	الزمر	(قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا...)	10
		(أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)	58
17	الاحقاف	(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ ...)	12
		(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ...)	15
18	الذاريات	(آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ)	16

19	الطور	(قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ)	26
20	النجم	(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا...)	31
21	الرحمن	(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)	60
22	الحشر	(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ...)	26
23	الطلاق	(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ...)	1
		(إِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ...)	2
		(أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ...)	6
		(لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ...)	7
24	الملك	(الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)	2
25	الإنسان	(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)	7
26	الضحى	(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)	8
27	يوسف	(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)	22

فهرس الأعلام **رقم الصفحة**

ابن الأثير.

ابن جماعة.

ابن حيان.

ابن رجب.

ابن رشيق.

ابن عاشور.

ابن عطية.

ابن قتيبة.

ابن كثير.

ابن منظور.

أبو هلال العسكري.

أبو السعود.

الإسكافي.

الألوسي.

الباقلاني.

البيضاوي.

الجاحظ.

الخطابي.

الرازي.

الرماني.

الزجاج.

الزركشي.

الزمخشري.

السمين الحلبي.

السيوطي.

الشوكاني.

الطبري.

الطنطاوي.

عبد القاهر.

العلوي.

الغرناطي.

القرطبي.

الكرماني.

المصادر والمراجع

- الإتقان في القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394ه.
- إرشاد العقل السليم، أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- اسرار التكرار في القرآن، الكرماني، تحقيق: عبد القاهر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد التواب عوض، دار الفضيلة.
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، الجرجاني، تحقيق: عبدالقادر حسين، دار النهضة، مصر، الفجالة، القاهرة.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1415 هـ.
- إعراب القران، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م.
- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.
- أيسر التفاسير، الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، 1424ه.
- الإيضاح، القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت
- الإيمان، ابن تميمية، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، 1416ه.
- البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376هـ.
- بغية الوعاة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.
- تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، 1984ه.
- التصور الفني، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة:17.
- التعريفات، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1413ه.
- التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة: 1383 هـ.
- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، الطبعة: الثانية، 1420هـ.
- تفسير القران الكريم، ابن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ.
- التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.
- تفسير المراغي، المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي واولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1365ه.
- التفسير المظهري، المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، الطبعة: 1412 هـ.
- تفسير المنار، القلموني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- التفسير المنير، الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418ه.
- التفسير الوسيط ، الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة : الأولى - 1422 هـ
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973 م.
- التفسير الوسيط، الطنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، دون تاريخ.

- التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأسمرية، الطبعة: الأولى، 1393 هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.
- التيسير في أحاديث التفسير، الناصرى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1405هـ
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1976م.
- جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
- جامع البيان، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
- جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، 1422ه.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أصفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1384هـ.
- جمهرة اللغة، الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيرت، ط/1، 1987.
- جواهر الحسان في تفسير القرآن، التعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418 هـ.
- الجواهر الحسان، الثعالبي، تحقيق: محمد معوض و عادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

- حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، السيوطي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية (3 رسائل دكتوراة)1424 هـ - 2005 م.
- حاشية القولولوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين الحنفي، ضبطه وصححه: عبد الله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424ه.
- خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (30) معهد البحوث العلمية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1422ه.
- الدرر الكامنة، العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، دار المعارف العثمانية، صيد، اباد، الهند، ط/1392،2هـ.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، 1413ه.
- روح البيان، أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
- روح المعاني، الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
- زهرة التفاسير، أبي زهرة دار النشر: دار الفكر العربي.
- شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، محمود توفيق محمد سعد.
- شرح المفصل، ابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001م.

- صحيح البخاري، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422ه.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.

الطبعة: الثالثة.

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.
- علوم غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416ه.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981 م.
- العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د:ت) (د:ط).
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، 1412 هـ - 1992 م.
- فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، 1412 هـ.
- الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407ه.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، الشافعي، تحقيق: عبدالجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، 1410ه.
- الكليات، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة، محمد علي السَّراج، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، 1403 هـ - 1983 م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
- المحرر الوجيز، ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422ه.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ.
- معجم علوم القرآن، الجرمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1422ه.
- مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، 1420ه.
- مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م.
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412ه.
- من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر، القاهرة، 2005.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- الموسوعة القرآنية، الأبياري، مؤسسة سجل العرب، (د:ط) 1405هـ.

- الميزان، الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ.
- النظم القرآني في آيات الجهاد، ناصر بن عبدالرحمن، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة: الأولى، 1996م
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، واخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
المقدمة	
التمهيد	
الفصل الأول: النظم القرآني، مفهومه، تطوره عند البلاغيين	
المبحث الأول: مفهوم النظم وأراء العلماء فيه	
المبحث الثاني: المتشابه اللفظي في آيات الإحسان	
الفصل الثاني: البنية التركيبية في آيات الإحسان	
المبحث الأول: التوكيد في آيات الإحسان	
المبحث الثاني: التقديم والتأخير في آيات الإحسان	
المبحث الثالث: التعريف والتنكير في آيات الإحسان	
المبحث الرابع: الذكر والحذف في آيات الإحسان	
المبحث الخامس: القصر في آيات الإحسان	
المبحث السادس: الالتفات في آيات الإحسان	
المبحث السابع: الجملة الإنشائية في آيات الإحسان	
الفصل الثالث: البنية التصويرية في آيات الإحسان	
المبحث الأول: الاستعارة في آيات الإحسان	
المبحث الثاني: الكناية في آيات الإحسان	

الخاتمة	
فهرس الآيات القرآنية	
فهرس الأعلام	
فهرس المصادر والمراجع	